المشرق

أقدم اثرٍ لبني غسّان

او اخربة المُشتّى

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

انّك اذا ما زايلتَ مادبا القرية الواقعة في متصرّفية الكرك التي ذاع صيتها مؤخرًا باكتشاف الفسيفساء المشتهة لانحاء فلسطين ثم سرتَ الى جهة الشرق وصلتَ الى سهل رحب الارجاء متّسع الافناء لا شجر فيه تحدُّه عن بعدٍ سلسلة جبال جزيرة العرب الضاربة الى الزُّرقة

ولا تلبث بعد ان تقطع بعض الروابي والنجوات ان تلقى بازائك آثارًا عظيمةً شبيهة بآثار حصن منيع او قصر بديع ينتصب بجلالٍ في خلوة البراريّ. تلك هي أخربة المُشتّى

فهذه الآثار عبارة عن سور مربع الشكل تبلغ جوانبهُ نحو ١٥٠ مترًا وفي زواياهُ اربعة بروج مستديرة. ولكلٍّ من جوانبه الثلاثة شرقًا وغربًا وشمالًا خمسة بروج ناتئة على هيئة نصف حلقة. اما الجهة الجنوبية فلها ستة بروج يشرف اثنان منها على جهتَيْ باب هذا البناء العجيب وهما كثيرا الاضلاع

وان ولجتَ داخل البناء تجدهُ منقسمًا الى ثلاثة مربّعات مستطيلة اوسعها الاوسط فيه كانت الابنية القديمة وهي عبارة عن قصر طولهُ خمسون مترًا في عرض سبعين مترًا. وكان امام هذا البناء عمارة اخرى سعتُها كسعة القصر وبين البنائين ساحة مربّعة جوانبها خمسة وستّون مترًا. والظاهر انّ هذه البنايات لم يُنجز عملُها فاستولى عليها الخراب قبل تمامها

اما القصر المذكور فيشتمل على حجرة واسعة تحسبها كنيسة قديمة من طرز الكنائس

المعروفة بالملكيات (بازيليك) يليها اربعة منازل . والابنية كلها شيدة بالآجر سوى طبقتها السفلى القائم عليها البناء فهي مبنية بالحجارة البيضاء . وجدران الحجرة الوسطى كانت مهيأة في اصل وضعها لتنقش عليها نقوش حسنة من الرخام او الفسيفساء . وفي ساحة الدار لا تزال حتى الآن قطع ضخمة من الرخام الاخضر لم تُنحت

هذا وانَّ من دخل لزيارة هذه الآثار لا يستطيع ان يضبط نفسهُ عن الانذهال لدى منظره وجه البناء الخارجي . وهو كلهُ مجمَّل بالنقوش البديعة ترى من جملتها جفنة محكمة الصورة ذات اغصان وسروغ مشتبكة تمتدُّ على طول البناء في خلالها طيور وحيوانات لا حقيقة لوجودها كالأُسود المجنَّحة والعنقاء وكلها على هيئات غريبة تمرح وتستقر حول العنب او تشرب من الكؤوس (انظر الصورة في الصفحة التالية)

اوَّل ما يخطر في البال عند نظر هذه البقايا الجليلة تُرى ما كانت غاية هذا البناء ولمن يصحُّ ان يُنسب . وقد ذهب العلماء في آرائهم مذاهب فزعم البعض انهُ هذا دير وانَّ الفرقة الوسطى بيعة قديمة كان يجتمع فيها الرهبان لاقامة الصلاة . غير ان هذا الرأي يدحضهُ عدَّة حجج لاسيَّما انَّ القبلة ليست هي من الشرق الى الغرب كما اعتاد ذلك قدماء النصارى لكن من الشمال الى الجنوب . فالاحرى إذن ان يقال انَّ هذا بلاط يُحدق به سور يمنعهُ من الغزوات وانَّ البيعة الموهومة هي ديوان القصر وناديهِ الكبير

ثم انَّ في تركيب قصر المشتى ما يُشعر بهندسة الروم يؤخذ ذلك من هيئة الديوان الشبيه بالبيع الملكية (بازيليك) ومن صورة النقوش الناتئة ورؤوس الاعمدة واكللها الى غير دلائل يطول شرحها . ومع ذلك في وسعنا ان نقول انَّ هذا البناء لا يمكن عزاؤهُ الى اليونان لانَّ هذا القصر خارج عن حيِّز المدن الخاضعة لسلطان الروم وهو ينتهي على سمت مدن جرش وعمَّان ومادبا . وزد على ذلك انَّ موقع هذه البناية في بادية بيداء لم يكن الروم ليرضوا ان يبنوا فيها قصرًا بديعًا كهذا

وذلك مما يردُّ ايضًا مزاعم من ارتأوا انَّ البناء من عمل الفرس فضلًا عن انَّ لا اثر في هذا القصر لهندسة الفرس . ولا يكفي ما جاء في خلال النقوش من تصاوير الطيور والحيوانات فانَّ ذلك شائع عند غير الفرس ايضًا

وقد رجَّح البعض أن اصل البناء من عمل الروم بيد ان للعرب في صناعته يدًا وعليه سلكوا بأنَّ هذا القصر بدء الهندسة العربية . ولكن لمَّا جهل هؤلاء تواريخ قدماء

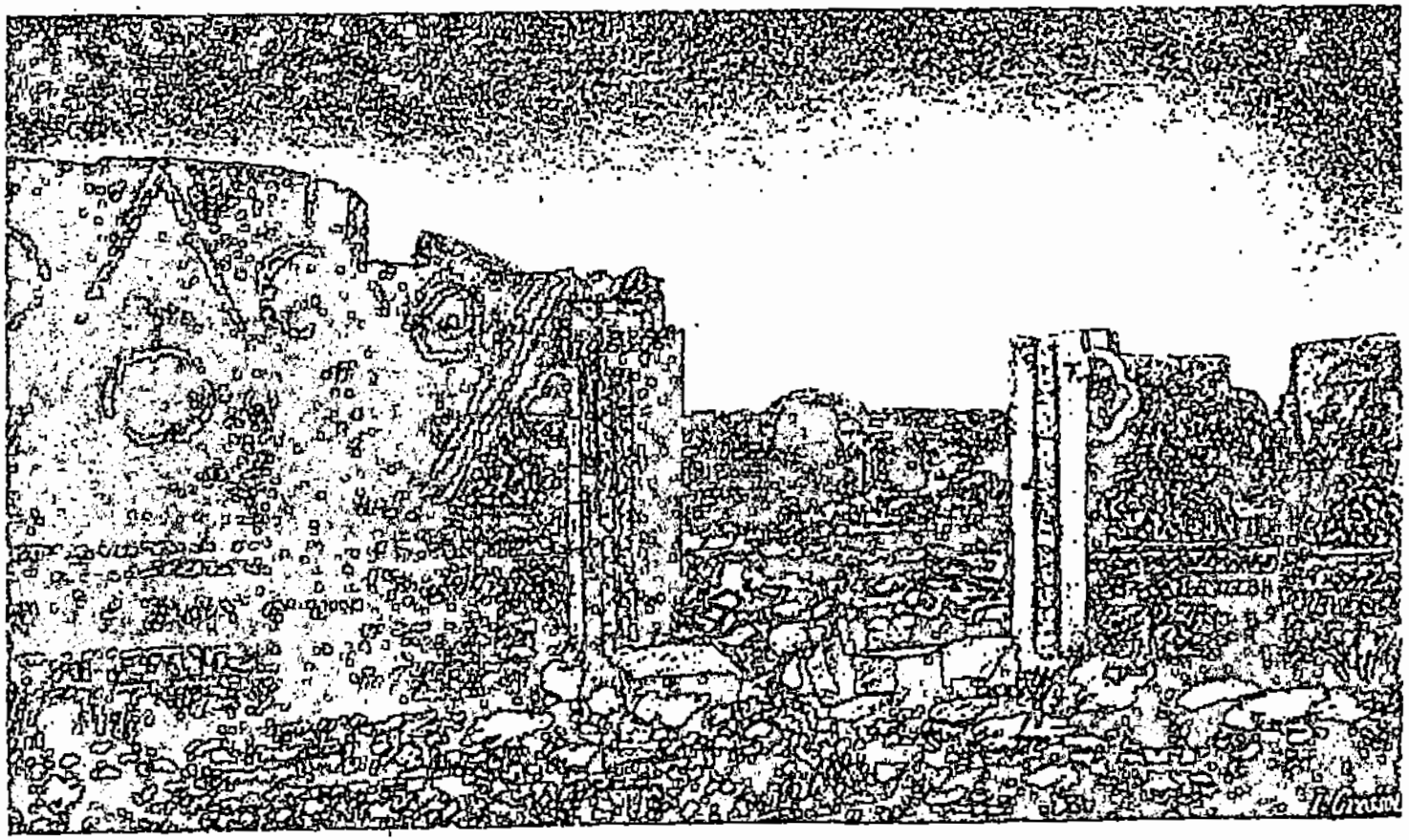

وجه قصر المشتى ومدخله

العرب نسبوا دون تروٍّ بناء هذا القصر الى خلفاء دمشق من بني أميّة وآثروا الخليفة عبد الملك لزعمهم انّهُ اشتهر بالبنايات الجليلة التي منها المسجد الاقصى في بيت المقدس(١. اما الكرمة المنقوشة على جدران وجه البناء فقالوا بغير بيّنة انّها دلالة على كلف الخليفة بمعاقرة الخمرة فنسبوا لعبد الملك ما هو بريء منهُ على انّهُ قول مخالف لرواية قدماء المؤرّخين (٢

فلا نسلّم اذًا بصحّة هذا القول ونظنُّ انّ قصر المشتّى ليس من اعمال عبد الملك وفي تصاوير الحيوانات والكرمة على وجه البناء شاهد كافٍ على فساد رأي هؤلاء الكتبة. ثم انّ الخليفة عبد الملك لم يُعرَف بكثرة بنائهِ فضلًا عن انّهُ لم يزل مشغولًا بالحروب لم يمكنهُ الوقت من البناء. اما احتجاج الخصوم بانّ عبد الملك شيّد في بيت المقدس قبّة الصخرة المعروفة بالاقصى فذلك امر اقتضتهُ الظروف لا يكفي لبيان قصدهم فضلًا عن انّ المعروف من بني اميّة بكثرة ابنيتهِ انّما هو الوليد بن عبد الملك. اما عبد الملك فانّهُ اشتهر بحسن التدبير والسياسة وكان مقتصدًا للاموال(٣ ينفقها في مهمّات الدولة ليس الّا فلم يكُ ليبذرها في بناء قصر في وسط البلقاء بلا فائدة ولا عائدة

هذا وانّهُ لا يمكن نسبة المشتى لغير عبد الملك من الخلفاء من الامويين لانّ اكثرهم لم يكن البناء من همّهم اما الذين سعوا في تشييد البنايات فانّهم قلّما افتكروا في البلقاء.

٢

ولكن ان انكرنا نسبة المُشتى لبني امية أفترانا ننكر كونهُ للعرب. لا لعمري وانّما يغلب على ظنّنا انّ هذا البناء اقدم عهدًا من الخلفاء وانّهُ من مآثر بني جفنة ملوك الغسّانيين كما ارتأى الدكتور برنّوف في ملحق اعمال الجمعية الفلسطينية (٤ . ولترجيح هذا الرأي دلائل منها هيئة هندسة القصر وموقعهُ في طرف البرّيّة وتمهيدًا لبيان ذلك قد رأينا ان نذكر هنا لمعةً من احوال بني جفنة وعزّهم

---

١) راجع المجلّة Echos de N. D. de France, t, IV. p. 216

٢) راجع مقالتا الفرنسيّة في الاخطل Chantre des Omiades, *Paris, Alb. Schultz*, p. 32, 68, etc.

٣) راجع مروج الذهب للمسعوديّ (٥ : ١١٠) وكتاب الاغاني (١٥ : ١٠٨)

٤) R. Brünnow: *Nachrichten u. Mittheilungen*, 1895, p. 87.

من المعلوم ان اصل الغسّانيين من جنوبي جزيرة العرب وقد شهد قدماء مؤرخي اليونان انّ اهل تلك البلاد كانوا على قدم من التمدّن. وذلك امرٌ اثبتته في زماننا اكتشافات خطيرة صارت في بلاد اليمن. ولمّا تبدّدت قبائل عرب اليمن بعد خراب سدّ مأرب وسَيْل العَرِم التي بنو غسّان منهم الى جهات الشام في اواخر القرن الرابع للمسيح وهم وارثون عن اجدادهم قسماً من صنائعهم وحرفهم فحلّوا في صحاري البلقاء بجوار مادبا (١ وكان سبقهم الى سكنى تلك الانحاء بنو سليح فظهروا عليهم وخافوهم في امرتهم (٢

واستعمل القياصرة ملوك القسطنطينية بني جفنة واقبّوا امراءهم برؤساء قبائل (phylarque) وولّوهم الامر ليس فقط على غسّان بل على عدّة قبائل تسكن البراري من ضفة الفرات الى انحاء الحجاز وجعلوا لهم وظائف معلومة غايتهم بذلك ان يردّوا غزوات ملوك الحيرة عمّال الفرس. وكانت كلّ هذه الاحياء من العرب بخضوعها لملوك الروم تتأثّر فنونهم وعلومهم وتقتدي باصنائعهم. وفي منشور الملك يوستينوس الاوّل سنة ٥٣٦ ما يُشعر بانّ رؤساء القبائل المذكورين آنفاً كانوا يحكمون الحكم الشرعيّ على اقليم العربية اعني الحوران والبلقاء. بيد انّ المدن كان لها تنظيمات مخصوصة يسير سكّانها بموجبها. وقد جاء في شعر حسّان بن ثابت اشارة الى انّ ملك بني جفنة كان ممتدًّا من الحوران الى بحر القُلزم

وقد تلطّف ملوك القسطنطينية في اكرام امراء غسّان حتى انعموا عليهم بلقب البطريق وهو من اسماء الشرف التي لم يمنحوها سوى لبعض الخاصّة. وكان هذا اللقب يخوّل من اتّسم به حقوقاً ونعماً سابغة حتى كان الملوك انفسهم يحبوا ان يكنّوا به كما ترى في مثل كلوفيس ملك الفرنج. وكان القيصر نفسهُ يعظم البطارقة ويدعوهم باسم الاب. وقد روى المؤرّخ پروكوپ في تاريخ حرب الفرس (الجزء الاوّل العدد ١٧) ان الحارث الجفني نال ايضاً برتبة الملك مع السلطان المطلق على كل القبائل المنضوية تحت حكم الرومان

---

١) قال ابن خلدون (٢ : ٢٢٨) انّ بني سليم « نزلوا ببلاد موآب من ارض البلقاء ». وقد زاد المسعودي بياناً في مروج الذهب (٣ : ٢٢١) فقال ان حاضرتهم كانت « مادب من ارض البلقاء »

٢) راجع تاريخ عرب الجاهليّة (C. de Perceval II, 202)

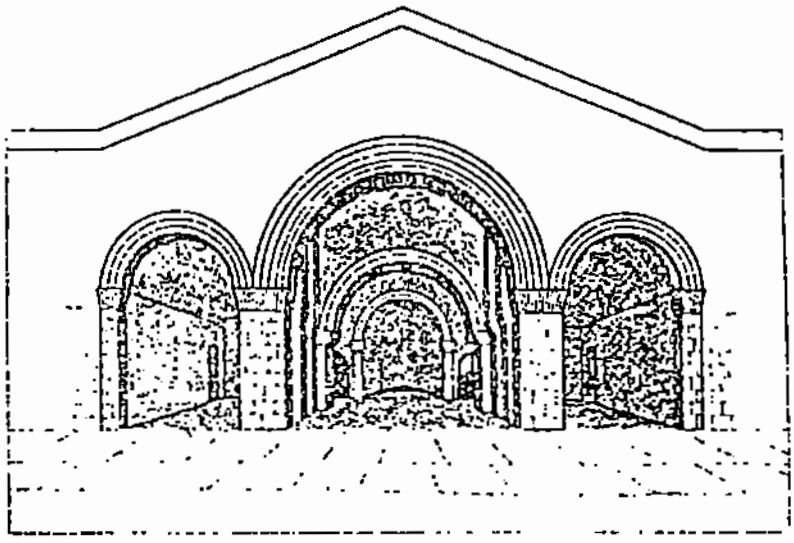

صورة داخل قصر المشتى وهندسته الاصلية على رأي الدكتور برنّوف

وبلغت قدرة بني جفنة عند القياصرة الى ان قاوموا في بعض الامور اولياءهم واجاروهم الى مرامهم كما ظهر ذلك في مسألة المونوفيزيتين القائلين بالطبيعة الواحدة لما ناوروا المجمع الخلقيدوني وردّوا حكمه. فكان ملك القسطنطينية يتعقّب آثارهم ويعاملهم بالعُنف فاعترض الحارث الجفنيّ دون هذه الاوامر ولم يزل يضرب اخماساً لاسداس حتى اضطرّ القيصر ان يسمح لهُ بسيامة اسقفين من بدعة المونوفيزيتين للبلاد التي يسكنها السريان والعرب معاً وكان يعقوب البرادعيّ احد هذين الاسقفين. فاولا الحرث لحبط مسعى ذوي الطبيعة الواحدة

هذا وان عَظَمة ملوك غسّان كانت مساوية لقدرتهم حتى ضرب العربُ فيها الامثال. وكانت الشعراء قبل الاسلام تتقاطر الى منازلهم من كلّ أوب فيعودون وهم مُوقرون بألطافهم. وقد ورد في كتاب الاغاني ذكر وليمة فاخرة أولمها جبلة بن الايهم ملك غسّان تُسفر عمّا كان عليه هؤلاء الملوك من الجاه وبَذخ العيش وقد وصفها حسّان بن ثابت بما حرفهُ:

« لقد رأيت عشر قِيان خمسٌ روميّات يغنينَ بالرومية بالبرابط وخمس يغنينَ غناء اهل الحيرة وأهداهنّ اليهِ اياس بن قبيصة. وكان يفِدُ اليه من يُغنّيهِ من العرب من مكة وغيرها. وكان اذا جلس للشرب فُرش تحتهُ الآس والياسمين وأصناف الرياحين وضرب لهُ العنبر

والمسك في صحاف الفضة والذهب وأتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة وأوقد له العود الندّي ان كان شاتيًا. وان كان صائفًا يطن بالثلج وأتي هو واصحابهُ بكساء صيفية ينفصل هو واصحابهُ بها في الصيف. وفي الشتاء الفراء الفنك وما اشبههُ. ولا والله ما جلست معهُ يومًا قطُّ الّا خلع عليَّ ثيابهُ التي عليهِ في ذاك اليوم وعلى غيري من جلسائهِ. هذا مع حلم عمَّن جهل وضحك وبذل من غير مسألة. مع حسن وجه وحسن حديث. ما رأيت منهُ خنًى قطّ ولا عربدة. ونحن يومئذٍ على الشرك »(١

نعم انَّ في هذه الاوصاف مبالغةً لا تُنكر لكنَّها تبيّن ما ابقى في مخيّلة العرب من الاثر عزُّ بني غسّان وترفهم لاسيَّما ان جبلة بن الايهم لم يَعُد في اوج عظمتهِ بعد ان اباد الفرس سلطان بني جفنة لمَّا غزوا الشام سنة ٦١٣ فتزعوا منهم لقب الملك. وهذا امرٌ مقرَّر (٢ وغمَّا عمَّا جاء في مؤرّخي العرب ما يشعر بخلاف ذلك. فان كان اذن بعض الخاصَّة بلغ الى هذه الرفعة والجاه فما القول عن بعض الملوك الذين تقدَّموهُ من ذوي الشأن والعزّ كالحارث والمنذر وغيرهما (ستأتي البقية)

لفظ الجيم العربيَّة

للمستشرق الاديب اغناطيوس كريمكي نزيل بيروت

وقفنا على مقالة في العدد الثالث من مجلَّة المشرق الغرّاء لحضرة الاب هنري لامنس المحترم عنوانها « لفظ الجيم أحلقيٌّ هو ام شجري ؟ ». يظنُّ الكاتب الفاضل ان لفظ الجيم المصري (gue) اقدم عند العرب من لفظ كل جيم غيرها وان اللفظ الشجري مستحدث. وختم بقولهِ كما يأتي :

« فان رغب الينا سائل وطلب ان نبيّن تعيين الزمن الذي فيهِ جرى هذا الابدال من الحلقي الى الشجري اجبنا بكل صراحة اننا نجهل ذلك. امَّا اذا كان لا بدَّ من ابداء رأينا في المسألة قلنا ولكن مع التحفُّظ وليس قولنا الّا من باب الافتراض انَّ الجيم الشجرية ظهرت بنفوذ العجم في البلاد المجاورة لهم في ما بين النهرين والعراق. ولا يبعد انها كانت لغة

---

١) راجع روايات الاغاني الاب صالحاني الجزء الاول ص ٦٣

٢) راجع كتاب نولديك عن ملوك غسّان Die Ghassânischen Fürsten, p. 42, 43

اهل البلاط في الدولة العباسية التي قوي فيها النفوذ العجمي منذ القرن الثاني للهجرة. وكأنما الناس حاولوا التشبُّه باهل البلاط وسكان العاصمة . . . ونحن نكرر القول ان ما ابديناهُ ليس الّا رأياً نعدل عنهُ متى دلّنا البرهان على مذهب آخر اقرب الى الصواب »

فمع ما في المقالة المذكورة من الافادة واللذّة المطالع نستميح من حضرة الكاتب ان نبدي اعتراضنا على بعض آرائهِ في لفظ الجيم وخصوصاً على نسبته للنفوذ الفارسي تأثيرًا في لغة العرب كما ذكر في المقالة

وهاك الاسباب التي تحملنا على ابداء هذا الاعتراض

اوّلًا مع افتراضنا ان العجم كان لهم حقيقةً نفوذ على لفظ العرب نضطرُّ للإقرار ان ليس العجم الذين قدروا على تحويل gue الى j او dj لانك تجد عندهم كلاً من هذه الالفاظ الثلاثة gue, j, dj التي كانت موجودة ايضاً قبل الاسلام. ولم يكن يلتبس عليهم امر تمييزها ابدًا بل كانوا يفرقون بينها بكلّ تدقيق. فحيث لا اثر عندهم للالتباس بين dj (او j) و gue كيف قدروا اذن ان يُحدثوا في اللفظ العربيّ تغييرًا كهذا ؟

ثانيًا ان في مخالطات العرب والعجم ما كانت اللغة الفارسية مؤثرة بل متأثرة لان اهل فارس كانوا يجتهدون ان يقلّدوا العرب في ادقّ الفاظهم وعباراتهم حتى دفع الجهدُ بعضهم الى ترك بلادهم والذهاب الى البادية. وهناك مكثوا بضع سنوات مقيمين بين القبائل لكي يتعلّموا اللفظ العربيّ ويطّلعوا على ادقّ اسراره. هكذا فعل الجوهري مثلاً. امّا العرب فلم يأخذوا عن اللغة الفارسية الّا بعض كلمات. امّا اذا كان حضرة الاب المحترم يظن ان لغة الفرس كان لها تأثير على لغة اهل البلاط فذلك زعم لا دليل عليهِ في التاريخ. بل عندنا ادلّة كافية تاريخية تؤيّد انهُ رغمًا عمّا كان للفرس من النفوذ السياسي في ايّام العبّاسيين الاوّلين لم يكن للفتهم أدنى تأثير على اللغة العربية. وآداب اللغة الفارسية عينها لم تظهر الّا في القرن الثالث من الهجرة (١

ثالثًا لا يمكن ان يكون للنفوذ الفارسي اثر في تحويل gue الى dj او j لان اللفظ الشجري عند العرب تقدّم النفوذ الفارسيّ. وهاك برهانهُ:

---

١) انظر ما كتبتهُ عن تاريخ اللغة الفارسيّة في الجزء الرابع والاربعين من دائرة المعارف المطبوعة في بطرسبرج ومقدمة ترجمتي لشاهنامه للفردوسي المطبوعة في ليبزغ

لنذكرْ قبل كلّ شيء ان للجيم الشجرية على نوعين dj و j (١ . ولا بدّ من الظنّ ان لفظ j المنتشر في بر الشام احدث من dj ومشتقّ منهُ . ولنا في بعض الفاظ العامّة ادلّة واضحة على صحة هذا القول ككلمة « دشّر » التي تأتي من جشر « وتَدَشا » ودشيشة اللتان تستعملان عند العامة عوضاً عن جشيشة وتجشّا . وكذلك يوجد عندهم كلمة « داسوس » المشتقّة من جاسوس ولفظة دسّ عوض جسّ (دسّ في اللغة الفصحى معناها اخفى) وكلمات اخرى غيرها . فبما ان لفظ dj يستحيل اشتقاقه من j (كما ومن gue) يلزمنا اذن ان نعتقد ان الجيم في جشر وجشيشة وغيرها كانت تُلفَظ dj وليس j . ثم انّ كلمة « دجاجة » لها فائدة مهمّة في الدلالة على ما تقدّم اذ انّ هذه الكلمة تُلفَظ عند الدمشقيين « jijé » بدون الدال لا djidjé . فمثل هذا التحريف لا يمكننا ان نجد لهُ تعليلاً سوى هذا وهو ان الدمشقيين كانوا يلفظون هذه الكلمة قبلاً « djidjé » عوضاً عن « dadjadjé » ناسين انّها مبتدئة بدال . ثم انهم لما ابتدأوا يلفظون الجيم j (عوض عن dj) تحوّلت لفظة djidjé الى jijé بدون دال

فنرى اذن انهُ لا بدّ من القول بان الدمشقيين كانوا يلفظون j مثل dj كي نعلل عن فقد دال « دجاجة » في لفظهم الحالي

ولندع الآن j ولنبحث عن dj و gue لنرى ايهما اقدم

لمّا انتشر دين العرب بين الفرس انتشرت معهُ ايضاً حروفهم الهجائية . ولكن الفرس اخترعوا بضعة احرف جديدة للتعبير عن اصوات غير موجودة في اللغة العربية فمن هذه الحروف احدثوا اوّلاً چ (تلفظ j) فاذاً لفظة j لم يكن لها وجود في لغة عرب ذلك العهد (وهذا برهان ثانٍ ان اللفظ j الشائع الآن في سوريّة مستحدث) . واخترع الفرس ايضاً حرف (گ) للفظة gue . فاذاً gue (او الجيم الحلقية) لم تكن موجودة عندهم ايضاً (اي عند العرب) اما اللفظ dj فلم يجد الفرس لزوماً لايجاد حرف جديد يعبّر عن هذا الصوت بل استعملوا الحرف العربي « ج » . فيتّضح من هنا ان عرب ذلك العهد كانوا

---

١) تكتب dj بحرفين (d + j) ولكن لا بدّ النارئ عن انّ لفظ dj صوت واحد وليس دج . فليست الدال ساكنة . والصوت dj هو الذي نسمعهُ مثلاً في لغة بعض الاعراب وفي اللغات الفارسية والتركية والايطالية والانكليزية وفي اللغات السلافية وبعض الفيلولوجيين يؤكدون ان هذا الصوت يجوز ان يكتب هكذا d/4 + j

يلفظون الجيم تقريباً dj. قلت «تقريباً» لغاية. لانّ عندنا دلائل على ان جيم ذلك الزمن مع كونها شجرية اي dj لم تكن مع ذلك شجريّة مخفّفة

وفحص الكلمات الفارسية المكتوبة بيد العرب يدلّنا على ان الجيم ما كانت لا شجرية تامّة ولا حلقيّة لانّ كتّاب العرب كانوا يستعملون من جهةٍ حرف الجيم لاجل كتابة الكلمات الفارسية المحتوية على لفظ dj و tch بحروف عربية ومن جهةٍ كانوا يستعملون احياناً حرف الجيم في خطّ بعض الكلمات التي كان العجم يلفظونها gue كقولك جوهر التي يلفظها الفارسيون govher

ومما يهمّنا ايضاً الفحص عنهُ استعمال الجيم في كتابة الاسماء المتداولة في روسيّة الجنوبية لانّ ذلك يوصلنا الى ذات النتيجة التي استخرجناها من الكلمات الفارسية. لا يخفى ان السيّاح العرب طرقوا روسية الجنوبية مرارًا في القرنين الثالث والرابع من الهجرة وخصُّوا لوصفها قسماً مهمًّا من مؤلفاتهم. ومن الذين اشتهروا في كتاباتهم عنها ابن فُضلان رسول الخليفة المقتدر بالله (سنة ٩٢٢ للمسيح) وابو دُلَف (٩٤٠) وابن رُستة (٩١٣) والمسعودي (٩٤٤) وابو زيد البلخي (٩٥٠) وابرهيم بن يعقوب الاندلسي (٩٦٠) وغيرهم. فعند ذكرهم مثلاً الاسم Pétchénégui (وهم قوم سكنوا جنوبي روسيّة) كانوا يكتبون «البجناك» او «البجناكية» او «البجاناكية». فاستعملوا الكاف لكي يعبّروا عن gue والجيم عن ché. اما لفظ tché فهو قريب من dj كما هو معلوم. وعندهم ايضاً اسم Esseguel وقد كتبهُ ابن رستة مرّة «اسغل» بالغين ومرّة «اسكل» بالكاف لا بالجيم (١ اما كلمة oulichtch فهي مكتوبة عند ابن رستة «أشج» (ص ٢٩٠) وكلمة joupanetch (لقب الملك عند الصقالبة) كتبها ابن رستة «شوبنج» (ص ٣٢٠ و١٣٨) ومع ذلك تجد عند ابن رستة «جزادست» وهي لا تقرأ الّا gradistye (ص ٣٢٠ و ١٤٢) و«جله» (٢٦٠) تكتب عند مؤرخي الروم Γύλαε وتأليف ابرهيم بن يعقوب المتقدّم ذكرهُ يهمنا جدًّا في هذا البحث لان المؤلف كان من الاندلس

١) طبعت جغرافية ابي علي احمد بن عمر بن رستة (ويُروى: دُستة) في بطرسبرج سنة ١٨٦٩ (وجدَّد طبعها الدكتور دي غوي (de Goeje) في الجزء السابع من مجموع جغرافيي العرب طُبع في ليدن سنة ١٨٩٢). وكلمة «اسغل» واردة في الصفحة ٢٢ و«اسكل» في الصفحة ٢٥ من الطبعة الاولى

حيث لا اثر للنفوذ الفارسي فإذًا يمتنع على كل حال ولو الافتراض ان لغة ابرهيم كانت قابلة لتأثير اللفظ العجمي. وسافر ابن يعقوب من الاندلس الى بلاد الصقالبة. ولمَّا وصل الى بلاد اللونكبارد (Longobards) كتب اسم هذا الشعب « لنوكبرد » (ص ٤٢) بالكاف لا بالجيم (١ وزار ايضاً مدينة البندقية التي كان الافرنج يسمونها Venedja (يكتب Veneggia) او Venetsia (يكتب Venezia) فكتب اسمها « بناجية » بالجيم (ص ٥٣) وكذلك كتب اسم Némtchin « نامجين » (ص ٤٠) Kiptchak او Kipdjak « قفجاق » (ص ٤٢) و Pétchénêgui « البجاناكية » (ص ٣٨ و ٤٢ و ٤٤) فيتضح من هنا ان لفظ الجيم المغربي كان في ذلك العصر مشابهاً dj. ومع ذلك كتب ابرهيم اسم Francs « الافرنج » بالجيم ذاتها

فيستنتج ان الجيم في القرون الاولى من الهجرة كان لفظها لا شجريًّا تامًّا ولا حاتيًّا بل متوسطًا اي dj و gue معًا

ولفظ هذا الصوت ليس بالشيء المستغرب اذا لفظنا dj او gue من وسط سقف الحلق. وهو موجود مثلًا في كلمة اوكرانيَّة vyïjdjiaty (٢ . وفي كثير غيرها يصعب تمييز لفظها بين vyïjdjiaty و vyïjguiaty لانهُ مشترك بين dj و gue

فعلى ما اظن ان تلك الجيم المتوسطة كانت موجودة عند العرب في القرون الاولى من الهجرة. ولمَّا انتشر هؤلاء وتفرَّقوا في اقطار العمور تعدَّدت لهجاتهم. فاخذ عرب الشرق يلفظون الجيم المتوسطة شجرية محضة ومنهم لفظوها كالياء. اما عرب الغرب فجاءوا يلفظونها حاتيَّة تامَّة

غير ان ملاحظاتنا هذه لا تتمّ الَّا القرون الاولى للهجرة او ربَّما بضعة قرون قبلها. واذا

---

١) وصل الينا وصف سياحة ابرهيم في نسخة لرجل اندلسي غيره اسمهُ البكريّ (القرن الحادي عشر) مأخوذة عن ابرهيم. وطبع تاريخ البكري في بطرسبرج سنة ١٨٧٨

٢) اللغة الاوكرانيَّة اسمها بالفرنسي la langue d'Ukraïne ou petite-russienne اي لغة الروسيين الساكنين في روسيَّة الصغرى. ويسموها ايضاً اللغة الروسيَّة القديمة او الاصليَّة. ويتكلم اللغة المذكورة تقريباً ثلاثون مليون نفس وكانت مشهورة جدًّا في ابتداء تاريخ روسية. اما بقيَّة الروسيين فيتكلَّمون لغة روسيَّة اخرى كان الافرنج يسمّوها قبلًا la langue moscovite ويسمّوها الآن la langue russe. وقد صارت لغة الدولة. ولكن اللغة الروسيَّة الاصليَّة هي الاوكرانيَّة

سألنا احد هل لفظ الجيم المتوسطة وجد عند العرب دائمًا منذ القدم وهل هو اصلي فنقول انَّ مقابلة اللغات السامية تدلُّنا على ان الجيم العربية كانت تلفظ كالجيم المصريَّة حلقيَّة محضة قبل الهجرة بقرون عديدة اي عند ما كانت تلك اللغات متقاربة جدًّا لا يميزها الَّا فرق يسير. ثم تحوَّلت رويدًا رويدًا الى نصف شجرية او متوسطة. ثم بعد انتشار العرب في كل المسكونة رجع عرب الغرب الى اللفظ الحلقي الذي كان مفقودًا في عصر نبيّ الاسلام. فاذًا لفظ الجيم المشهور الآن في مصر مع كونه شبيهًا باللفظ القديم ليس عريقًا في القدمية بل مستحدثًا شبيهًا بالقديم pseudoarchaïsme. وحاصل القول ان لفظ المصريين ج مثل gue شبيه بالتغيرات الطارئة على بيت كان ابيض ثم لُوِّن اصفر فلما زالت صفرتهُ وبدأت تظهر الوانهُ القديمة عاد فصُبغ ثانيةً ابيض. نعم انهُ رجع الى البياض ولكن هل يمكننا القول ان هذا اللون الابيض الجديد قديم....؟؟

ملاحظات للمشرق

انَّنا نثني على ناسج بردة هذه المقالة المستهجة وفيها من الملاحظات الدقيقة ما يكشف النقاب عن مبهم مسألة طالما تردَّد فيها الكَتَبَةُ وارتابوا متحيِّرين. الَّا اننا نأخذ على صاحبها الاديب انهُ قد انتقل عن موضوع بحثنا شيئًا ما فجاءت براهينهُ مجارية لحججنا ليست بماكسة وغاية ما كنَّا تحرَّيناه في مقالتنا عن الجيم ان نبيِّن: اولًا ان العرب قبل الاسلام لم يعرفوا الجيم الشجريَّة. ولنا عاضد في قول الدكتور كمپفمير وهو ممَّن بحثوا بحثًا مدقَّقًا في لهجة العرب القديمة فورد في جملة قولهِ ما نصُّهُ: «ولسائل ان يسأل وكيف كان يلفظ العرب حرف الجيم عند ما ظهروا على بلاد فلسطين. فاجيب انَّ الذين اتوا منهم من جهات الجنوب لم يعرفوا غير الجيم الحلقية (gue). ولا ادري اذا يصحُّ ذلك في القبائل التي أتت من الشمال»(١. ثمَّ اردف قولهُ بان الحجج المثبتة بانَّ الجيم كانت شجريَّة بينهم لا تسبق القرن الثاني العشرين عمَّ صوت الجيم السوريَّة

ثانيًا وقد بحثنا عن اصل دخول الجيم الشجريَّة بين العرب فقلنا انَّها لمَّا كانت مجهولةً عندهم لا غرو انَّهم اخذوها من جيرتهم الفُرس وهي عندهم شائعة

ثالثًا لا يمكن ان نسلِّم بما قالهُ جناب المسيو كرمسكي انَّ نفوذ الفرس انَّما كان سياسيًّا فقط لانَّ نفوذهم الادبيَّ لا يُنكر والدليل على ذلك انَّ طائفة كُبرى من اللغويين

(١ راجع Kampffmeyer: *Alte Namen in heutigen Palaestina*, p. 18

الاولين كانوا من العجم وربّما تعصّبوا للتهم وحاولوا ايثارها على العرب . ولا يسعنا هنا الا انْ نذكر مكاتبنا الفاضل بما كتبهُ في هذا الامر الدكتور غُلدتسير (١ . فلا يُستغرب اذن نفوذ الفرس في اللفظ العربيّ

رابعًا انّ ملاحظات المسيو كرمكي على لفظة « دجاجة » لا تخلو من البراعة والحذق بيد انّها غير ثابتة اذ يمكن القول ان « جاجة » صورة مختصرة اعتادها العامّة بدل « دجاجة » كما يقولون « زيرة » بدل « جزيرة » او كما كان يلفظ عرب الاندلس « عامة » بدل « نعامة » (٢

هذا ونكرّر الثناء على المسيو كرمكي ولا نشكّ انّ القرّاء يتلقّون مقالتهُ بمزيد الشكر لما اودع فيها من الاعتبارات المبتكرة (٣ ه . ل .

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

الاب سبستيان رتزقال اليسوعيّ

(تابع لما سبق)

فيظهر من قول وادنكتون ان زينب كانت كريمة النسب تنتمي الى اشرف عيال تدمر على انّ ذلك لم يكن ليرضيها . وكانّي بها خجلت من انْ تُنسب الى ابنة تاجر فحاولت بما امكنها من الوسائل ان تخفي اصلها وذلك امرٌ شائع بين ملوك المشرق اذا خجل نسبهم ان يدّعوا لهم اصلًا يرتقون بهِ الى من تقدّمهم من الملوك

قال المسيو دي ڤوكويه (٤ : انّي اعدُّ سكوت المؤرخين عن صحّة نسب زينب ضربًا من التأنّق . واذا رأى العرب ما بلغت اليهِ من السطوة وعزّ القدر والخبرة العجيبة في آداب الحرب احبُّوا ان يتوهّموا لمن دانت لها البلاد اصلًا شريفًا عزوها اليهِ في حياتها . وجاء في تاريخ تريبليوس پوليو ان زينب كانت تنتسب الى تلك الملكات الاواتي اشتهرنَ في تواريخ

١) Goldziher : *Muham. Studien* I, 208

٢) راجع ايضًا كتابنا الموسوم Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, *Beyrouth*, 1890, p. 157

٣) لمّا كان هذا العدد من المجلّة على وشك الطبع وردتنا مقالة أخرى في لفظ الجيم لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي وان شاء الله سننشرها في عدد آخر مع جملة قرّاءاتنا معرفتهُ

٤) V., p. 33

المشرق كسميراميس ملكة اشور وبيدون صاحبة قرطاجنة وكلاوپترة ملكة مصر. وكانت تدّعي بنوع اخصّ انّ هذه الاخيرة من اجدادها وانها هي حفيدتها. وقد اشعر اتّخاذها لاسم زينب بشدّة حرصها على السيادة وبما خصّت به من الصفات الملكية ومعناه في اليونانية قوّة المشتري (Ζηνοβία، من Ζεύς وβία) (١

ولمّا مات سبتيميوس أذينة الثاني ملك تدمر ضبطت زوجتهُ زينب عنان الرئاسة واخذت تدبر شؤون الرعية بالنيابة عن ابنها البكر وَهْبلات והבלת (ومعناهُ بالآرامية هبة الإلاهة. فما كاد ينتشر هذا الخبر في الاقاليم التي دبّرها اذينة قبل وفاته حتّى تاقّتهُ الرعايا بزيد المسرّة وكانت هذه الاقاليم ستة السوريّات الثلاث (الاولى والثانية والثالثة) والجزيرة وقيليقية وقسم من آسية الصغرى. ومن العجب الامور انّ قبل عهد زينب بقليل قامت في الغرب امرأة اخرى تدعى ڤيكتورينة استولت الامر في بلاد غالّية لما رأت في ملوك رومة من الضعف والفشل فلم يقووا على حفظها. ولذلك قال المؤرخون انّ رجال ذلك العصر تأنّثوا واستخلت النساء حتّى فلنّ السيادة على الشعوب

---

١) ولدَّ سائلًا يسأل عمّا في دعوة زينب بانتسابها الى كلاوپترة من الصحّة. فنقول انهُ لمقرّر انهُ وُجد بين تدمر ومصر علائق تشهد عليها الآثار القديمة. فكان كثيرٌ من المصريين حلّوا مدينة تدمر وادخلوا فيها بعضاً من عوائدهم لا سيّما فيما يختصّ بدفن الموتى والمآتم واخبر بعض المسافرين انهم وجدوا في تدمر جثثاً محنّطة على طريقة المصريين (J. A., Sept. 1897, p. 350) وذكر الرحالة پوجولا (Poujoulat : *Voyage en Asie Mineure* II, 148) انهُ وقف على عدة نواويس فسأل عنها بعض العرب فاجابوهُ انهُ كانت فيها جثث من الموميا الّا انّ اهل الوبر قد استخرجوها ظنّاً منهم انها تحتوي نفائس من الذهب والفضّة (راجع ايضاً كتاب برتون الانكليزي Burton : *Unexplored Syria* وكتاب المسيو دي برنوڤيل : de Bernouville) *Dix jours en Palmyrène*, p. 119)

لكنّ ذلك ليس بكافٍ لنسب زينب اصلًا مصريًّا والارجح عندنا انها كانت آراميّة الاصل وانتحلت نسب كلاوپترة لشدّة طمعها في الملك. واقوى دليل على ذلك صورة اسمها السابق ذكرهُ وهو نبطيٌّ آراميّ او كاغلب الاسماء الموجودة بين الآثار القديمة. واما قول بعض الكتاب انها كانت عربيّة الجنس فذلك زعم ذهب اليهِ قومٌ ولا يخلو من بعض الصحّة الّا انّ العلم لم يقرّره حتّى اليوم تقريرًا كافيًا (راجع V. n° 124 ; Doughty : *Documents épigraphiques, recueillis dans le Nord de l'Arabie*, 1884, *passim* ; Blau, Z. D. M. G. 1871, 550 ; Corpus Inscript. Semit. II, t, 1, *Introd.*)

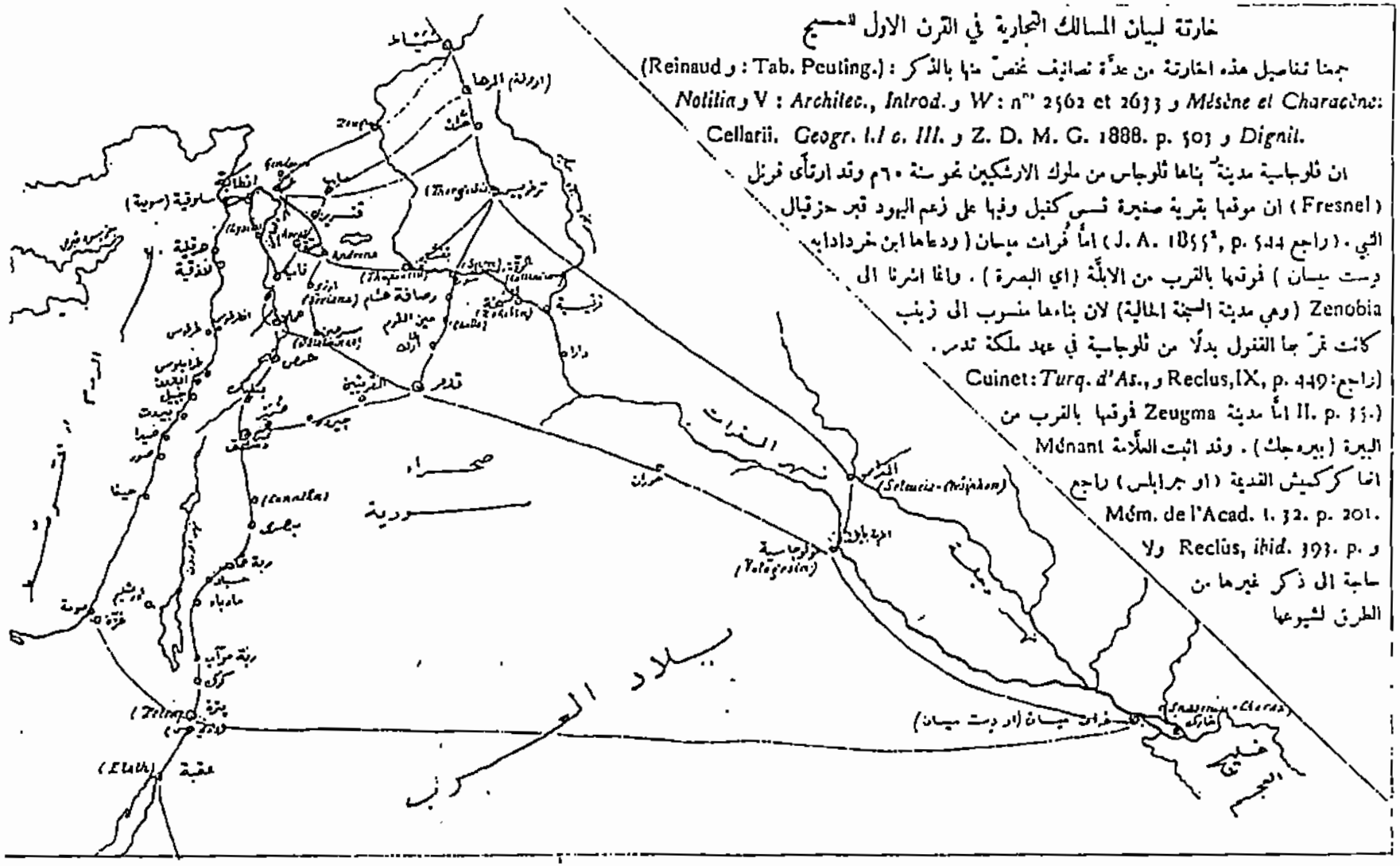

خارطة لبيان المسالك التجارية في القرن الاول للمسيح

جمنا تفاصيل هذه الخارطة من عدّة تصانيف نخصّ منها بالذكر : (Reinaud و Tab. Peuting.) و *Mésène et Characène*: *W* : n°s 2562 et 2633 و *Notitia* V : *Architec., Introd.* و Cellarii. *Geogr. l.l c. III.* و Z. D. M. G. 1888. p. 503 و *Dignit.*

ان تلوجاسية مدينة بناها تلوجاس من ملوك الاشكيين نحو سنة ٦٠م وقد ارتأى فرنل (Fresnel) ان موقعها بقرية صغيرة تسمى كتبل وفيها على زعم اليهود قبر حزقيال النبي . (راجع J. A. 1855, p. 544) اما فرات ميسان (ودعاها ابن خرداذابه دست ميسان) فرقعها بالقرب من الابلّة (اي البصرة) . واما اشرنا الى Zenobia (وهي مدينة السخنة الحالية) لان بناءها منسوب الى زينب كانت تمرّ بها القنرل بدلًا من تلوجاسية في عهد ملكة تدمر. (راجع: Reclus, IX, p. 449 و Cuinet: *Turq. d'As.*, II. p. 33.) اما مدينة Zeugma فوقعها بالقرب من البيرة (بيره جك) . وقد اثبت العلّامة Ménant انها كركميش القديمة (او جرابلس) راجع *Mém. de l'Acad.* I. 32. p. 201. و Reclus, *ibid.* 393. p. ولا حاجة الى ذكر غيرها من الطرق لشيوعها

٤

ان من استقرى اخبار زينب يقضي من امرها العجب لما ابقت ملكة تدمر في تاريخ العالم من المآثر الجليلة ويدهش لسرعة بلوغها الى اوج السلطة والمجد. بيد انَّ ترجمة حياتها تستلزم توطئةً تُفصح عن احوال تدمر منذ ابتداء امرها ليستدلَّ القارئ على الاسباب التي نهضت بهذه المدينة الى مدارج الفلاح واوسعت نطاق تجارتها وبلغتها الى مقام رفيع الَّا اتخذتها زينب كعاصمة ملكها

لا يُخفى انَّ لتدمُر اسماً آخر في اللغات الاجنبية وهو پَلميرة (Palmyre) معناها مدينة النَّخل (١). وقد ترجَّح الرأي عند العلماء انَّ سليمان الحكيم هو مشيِّد هذه المدينة مع ما فيها من ابنية الجبابرة. والدليل على ذلك اوَّلاً شهادة الكتاب المقدَّس في سفر اخبار الايام الثاني (٨ : ٣ ، ٤) حيث جاء قولهُ تعالى عزَّ وجلَّ انَّ « سليمان مضى الى حماة صوبة وتغلَّب عليها وبنى تدمر في البرّية وجميع مدن الخزن التي بناها في حماة » ووافقهُ ما جاء في سفر الملوك الثالث (٩ : ١٨) اذ قال الكتاب عن سليمان : « فبنى سليمان جازر . . . وتدمر في ارض البرّية ». (والدليل الثاني) على انَّ تدمر من اعمال سليمان تقليد اليهود تناقلوهُ ابًا عن جدٍّ واثبتهُ يوسيفوس المؤرِّخ في كتاب العاديات اليهودية (ف ٨ : ٦٤) فنسب بناء تدمر لسليمان. وفي شهادة يوسيفوس من القوَّة ما لا يجحدهُ جاحد مع ما كان عليهِ من الخبرة بتواريخ اليهود القديمة. (والدليل الثالث) موافقة العرب لاسيَّما سكَّان البادية على ذلك وهم يزعمون انَّ الجنَّ هي التي بنت تدمر لسليمان وعلى ذلك قول النابغة الذبياني من شعراء الجاهلية :

الَّا سليمان اذ قال الالهُ لهُ قُمْ في البريَّة فاحددْها عن الفَنَدِ
وخيِّر الجنَّ أني قد أمرتهمُ يبنونَ تدمُرَ بالصفَّاحِ والعَمَدِ

فناهيك بهذه البراهين الثلاثة من شواهد تكفي لإقناع من لا يرضى بالحجَّة والخصام

---

١) ولعلَّ اسمها العبراني תדמר صورة اخرى للفظة תמר (تمر) باقحام الدال فيها ومعنى تمر النخل وهذا على زعم قوم . امَّا المتنبي فقد اشتقَّ اسمها من الدمار حيث قال يمدح سيف الدولة وكان اوقع بقبائل العرب عند تدمر :

وليس بغير تدمُرَ مستغاثٌ وتدمرُ كاسمها لهمُ دمارُ

الَّا انَّ هذا اشتقاقٌ بديعيٌّ ذكرهُ المتنبي على طريقة الجناس ليس الَّا

وتُبطل حجج بعض المحدثين الذين انكروا ذلك (١ . الا انّ في مزاعمهم ضروبًا التباين والشطط ينقضها متن الكتاب الكريم (٢ وفي قرينة الآية المذكورة آنفًا ما يـ كلّ التباس وشبهة اذ جاء اسم تدمر مقرونًا بذكر حماة (חמת) . ولا يخفى ان سليمان كانت تمتدّ الى اقاصي سورية الشمالية الى مدينة تفسح الواقعة على ضفّة الفرا فلو لم يقصد الكتاب العزيز الاشارة الى مدينة تدمر التي نحن بصددها لما اورد اسمها في المدن التي عيّنها كحدود مملكة سليمان شمالًا . لاسيّما وان موقع تدمر انسب محلّ اخ سليمان اختيارهُ لبنا . مدينة تكون له بمثابة مربط لتجارة رعاياهُ او كما يقول الكتاب كا "مُدن الخزن" . وزد على ذلك انّ الخطوط التدمريّة المكتشفة حديثًا أتت مؤيّدة لـ فان اسم هذه المدينة قد ورد فيها غالبًا على نفس الصورة المذكورة في التوراة وخصوص الكتابة التجارية التي سنتكلّم عنها (٣

قال السيّد برنوفيل (٤ : « انّ مدينة تدمر المذكورة لاوّل مرّة في الكتاب المقدّس تكاد ترى لها ذكرًا مدّة الف سنة الى ان كشف عن وجودها القناع بليدوس الطـ (٢٣—٧٩ ب م) فوصفها وصفًا شائقًا يدلّ على ما نالهُ من النجاح والتقدّم في توالي الد ونعتها بحسن موقعها كمركز اثير الخطارة بين مملكتي الرومان والفرس" . والحقّ يقـال بعد وفاة سليمان الحكيم أصبح ذكر تدمر نسيًا منسيًا الى عهد قياصرة الرومان . فا التاريخ القديم هيرودوت ضرب عن ذكرها صفحًا وكذلك لا تجد لاسم تدمر اثرً اخبار فتوحات الاسكندر وبومپيوس وطرايان كما فات سطرابون الجغرافيّ تعريف احوالها حسن معرفتهِ بالانحاء الشرقية

وجلّ ما انبأتنا بهِ الاكتشافات الحديثة انّ نبوكد نصّر الثاني اجتاز بتدمر في ا

---

١) راجع Hitzig : Z. D. M. G. VIII, p. 222 — راجع ايضًا كتاب التاريخ للسيد ماسپرو (Maspero) في طبعتهِ الرابعة

٢) ومن غريب ما قيل في تدمر المذكورة في الاسفار المقدّسة انها مدينة من اعمال ارتـ او الكوكاس Haneberg : *Geschichte der biblische Offenbarung*, p. 250.

٣) اطلب مقالة حسنة كتبها في تدمر الدكتور سميث th : *A Dictionary of the Bible* (Tadmor)

٤) راجع كتابهُ عن تدمر (ص ٢ و ٣)

القرن السادس قبل المسيح عند مسيره الى خاربة فلسطين ومصر ففتحها عنوةً . وذهب قوم الى انهُ هدم سورها وخرب ابنيتها . وذلك امرٌ فيهِ نظرٌ لان الآثار القديمة التي يزورها سيَّاح عصرنا تبيّن صريحًا انّ ذلك الغازي الشهير لم يستأصل ابنيتها جملة . اما ذو القرنين فلم يتعرّض لتدمر ولمَّا قصد العراق عبر الفرات عند مدينة تفساح المارّ ذكرها

ولا عجب من خمول ذكر تدمر في التاريخ القديم لانها لم تزل الى اوائل النصرانية مدينة تجاريَّة محضة . الى ان اتاح لها اللهُ حياةً سياسيَّة جعلتها من امهات المدن وذلك ما يحدو بسيَّاح عصرنا ان يشدّوا اليها الرحال ويحطّوا عندها عصا الترحال

٥

قد برَّز الشرقيُّون في كلّ آنٍ بحذاقتهم في ضروب المتاجرات واغنا نال بينهم قصبة السبق آلُ فينيقية فانّ تاريخ تجارتهم يرتقي الى ما فوق القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وقد مرّ في بعض اعداد المشرق (٢١٩) ما يُعرب عن اتساع نطاق تجارتهم البحريَّة . فذلّلوا تيَّار المياه وخاضوا معامع التجار حتى فازوا على اقرانهم بالسهم المُعلَّى . ولم يكن نفوذهم التجاريّ برًّا اقلّ شأنًا وخطارةً فانّهم فضلًا عمَّا كان العرب يأتونهم بهِ من بلادهم كانوا يتردَّدون الى انحاء مصر والفرات لنقل بضائعهم واستجلاب خيرات تلك الاصقاع الى اوطانهم . بيد انّ قوافلهم كانت تعدل عن طريق البراري فلا تقطع المفازات الواقعة بين سوريَّة والعراق خوفًا من غزوات قبائل البادية . وذلك ما حمل سليمان على ان يطلب لتجارتهِ مع العراق طريقًا اقصر فلم يجد مدينة افضل موقعًا من تفساح . ولمَّا لم يرَ بُدًّا من اتخاذ مركز تحطُّ التجار قبل البلوغ اليها صمَّم النيَّة على بناء تدمر لتكون كمحطَّة لعيراتهِ ومخزن حصين في وجهِ اهل الوبر لخيرات بلاد العراق

فاصاب سليمان المرمى وجاءت تدمر محققةً لآمالهِ وهي المدينة الحريزة البنيان الحَسَنة الاتقان تراها في وسط البراري كريفٍ مُخصب او واشٍ طيّب او زبرجد تحدق بهِ الرمال كقلادةٍ ذهبيَّة (١ . فلم تلبث ان تضحى موردًا يتقاطر اليهِ ارباب التجارة . ولنا دليلٌ صادقٌ

---

١) وما كان يزيد في رفعة مقام تدمر خزارة مياهها في الزمن القديم . فكان لها ماء غدق ويجري فيها عدَّة انهار نضب اليوم اكثرها فلم يبق منها سوى جدول او جدولين . واشتهرت بيوعها المعدنية يتوارد اليها اصحاب العاهات للاستحمام فيشفوا من اسقامهم ولذلك دعا الرومان تدمر وار باشها بسورية الشافية (Syria salutifera) . وقال بطليموس الفلكيّ الشهير الذي عاش في

على ذلك ألا وهي كتابة قديمة بالنبطية وُجدت حديثاً في تيماء شمالي جزيرة العرب(١ جاء بها ذكر تدمر وهي تصفها كفندق منيع الارجاء في برّية الشام. وتاريخ هذه الكتابة يرتفع الى القرن السادس قبل المسيح

ولمّا صار امر البلاد الشرقية الى السلوقيين وظهر في دولتهم الفشل والانحطاط انتهزت قبائل البيظ الفرصة لتخلع عنها نير هؤلاء الملوك وسلمت قيادتها الى من يرءوسها من ابناء جلدتها. فكثرت الولايات المستقلة في انحاء الرها وحضر (Atra) وهارك (Charax) وغيرها من بلاد الجزيرة والعراق (٢. ولمّا كانت كلُّ هذه الطوائف تحترف بزاولة التجارة جعلت تسيّر قوافلها الى پترة (وادي موسى) وغزّة وتدمر فاصبحت حاضرة زينب منذ ذلك العهد مدينةً خطيرة من عواصم من آسيّة الغربيّة

(ستأتي البقية)

القرن الثاني للمسيحيّة انّهُ كان يسيل في وسط البلدة بقرب الياكل نهر كبير يعرف البَرَدى ولم يزل السيّاح من العرب وغيرهم الى القرن الثاني عشر يصفون تدمر بعذوبة مياهها المتفجّرة وكثرة حياضها وآبارها وحدائقها (راجع Reclus : *Géogr.* IX, 792) ومقالة للدكتور ركندرف (Chesney : *Expedit.* ؛ Z. D. M. G, 1888, p. 409) وقال الجنرال تشسني *to the Euphrat.* 1850, t. I p. 526) انّهُ شاهد في تدمر بقايا قناة تمرُّ الآن بين المقابر وبما كانت تجري مياه عين اسها أفقة كالعين المشهورة بهذا الاسم في لبنان. وكان لقب أفقة يطلق على العيون المختصّة باسم الزُهرة (راجع V. n° 95) وقد لاحظ بعض السيّاح المحدثين في نواحي دمشق وبعلبك آثاراً اخرى لقنيً وحياض كبيرة بقرب عين الفيجة وعين لبوة وغيرها يشبهها الاهلون الى زينب جرياً على عادتهم كما سبق (Sachau : *Reise in Syrien und Mesopot.*, p. 23,55) وتاريخ الرومان لمُمسن (Mommsen V, 429). وزاد ان زينب قصدت من بناء تلك القنوات استجلاب المياه الى حاضرتها. وهذا زعم لا سند لهُ اذ قد اوضحنا ان مدينة تدمر كانت تستغني بما فيها من الآبار والآسراب الغزيرة عمّا سواها من المياه البعيدة الموقع. ولو صحّ قول الاهلين في نسبة تلك البقايا الى زينب فجُلُّ ما يجوز الاستنتاج منهُ هو ان سلطانة تدمر قد عزمت على ان تُعمّر البرّيّة بواسطة اجراء المياه على مفاوزها)

١) راجع Corpus Inscript. Semit. II p.107

٢) R. Duval : *Hist. d'Edesse* J. A. 1891, 2 p. 110

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيّات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

٥

في الاسيتيلين

ليس الاسيتيلين (l'Acétylène) مادّة حديثة الاكتشاف فانّ الكيماوي الشهير داڤي اطّلع عليها لاوّل مرّة سنة ١٨٣٦ . وتركيبها من عنصرين هما الكربون والهيدروجين ($C^2 H^2$) . وصفة هذا الجسم انهُ غازٌ غير متلوّن لهُ رائحةٌ شديدة شبيهة برائحة الثوم . واتّقاد هذا الغاز من الخواصّ المعروفة بهِ قديماً بيد انّ ارباب الصناعة لم يكتشفوا طريقةً لتهيئتهِ على وجهٍ اقتصاديّ فبقي زمناً طويلاً لا يستعملهُ سوى الكيمويين في اختباراتهم العلميّة

وقد خرج الاسيتيلين منذ عهد قريب من معاهد العلم فصار من معدودات الحاصيل التجاريّة وقد أدّى اكتشاف المولّد الكهربائي (انظر صورتهُ ص٥٠٢) الى استخلاص هذا الغاز ونشرهِ الى ان أضحى يُزاحم البترول والغاز الحجريّ ويجاريهما بين وسائل التنوير

اما كيفية تهيئة الاسيتيلين فبأن تجمع بين الفحم والكلس بواسطة الكهرباء فيحصل بامتزاجهما كربور الكلسيوم ($Ca C^2$) . واذا مسّ الماء هذا الكربور تحلّل الى مادّتين هما الاسيتيلين والكلس

وقد شاع الآن استعمال هذا الوقود الحديث الّا انهُ لم يُحرز ثقة الجمهور الّا بعد تحسينات كثيرة وكان في اوّل الامر لا يرضى بهِ الناس لاسبابٍ شتّى منها لون لهيبهِ الضارب الى الزُمدة ومنها رائحتهُ الكريهة مع خطر التسمّم باشتمامهِ ومنها في آناتٍ انفجار هذا الغاز وحوادث عديدة مفجعة تسبّبت عن ذلك . لكنّهُ مع كلّ هذه المضارّ لم يزل يتّسع نطاق الاسيتيلين لبخس ثمنهِ والصناعيّون تيسيراً لرواج سوقهِ ما فتئوا ان يواصلوا البحث في تحسينهِ وإزالة مضارّهِ حتى قرب اليوم حلّ مشكلهِ واضحى من وسائل الوقود المفضّلة

أ (في تهيئة كربور الكلسيوم) قلنا ان الاسيتيلين قد شاع استعمالهُ مذ اكتُشفت الموقدة الكهربائية واوّل من مهّد الطريق لذلك العلّامة مواسّان (Moissan) بأبحاثهِ الخطيرة عن الالماس فانهُ أتصل ان يركّب قطعاً من الالماس الصناعيّ بواسطة قوس

الكهرباء. فاتخذ لذلك موقدة من الكلس وأطلق في وسطها شرر الكهرباء. فكان لهذا الشرر حرارة شديدة تباورَ من جرّائها الفحمُ فاستحال بتباوره الى الماس صناعي

بيد انهُ كان ايضاً لهذه الشرر فعل آخر في كلس الموقدة والفحم المتكهرب وذلك انهُ تركّب منهما كربور الكلسيوم. فدهش الدكتور بوليه (Bullier) من هذا الواقع وكان يساعد مواسآن في اختباراته فاخذ ستة وثلاثين قسماً من الفحم مع ستة وخمسين قسماً من الكلس الحيّ فنال بواسطة قوس الكهرباء مركّب كربور الكلسيوم الصناعيّ الذي منهُ تستخلص الاسيتلين كما سبق. وكان هذا الاكتشاف المهمّ في غرّة سنة ١٨٩٣ فللحال شرع ارباب الصناعة بتشييد معامل لاصطناع كربور الكلسيوم وما لبثت ان تنا عددها وهي اليوم كثيرة في جميع البلاد ومنها في فرنسة وحدها فوق العشرين معملاً

فمذ ذاك الحين سقطت اسعار كربور الكلسيوم فصار الطنّ منهُ يباع باقلّ من مئتي فرنك وكان قبلاً يساوي ١٥٠٠ فرنك. وكمّية الاسيتلين المستخلصة من كيلوغرام الكربور المذكور تبلغ ثلثمائة ليتر

امّا المواقد الكهربائية المتّخذة لإعداد كربور الكلسيوم فانّ لها هيئات شتّى والشكل الذي ترى رسمهُ في الصفحة ٥٠٢ هو احد الأمثلة الشائعة عند كثيرين يُدعى مثالَ پاتين (Patin). فالآلة المرادة لكهرباء هي احدى الآلات الدينامية القويّة التي تبلغ شدّتها ١٢٠٠ درجة امپير (ampère)(١ من الكهرباء الى ٢٠٠٠ درجة وتبلغ قوّة امتدادها نحو ٦٠ فلتا (volte)(٢ فيصل مجرى الكهرباء الى اسطوانتين من الفحم (١١) فتلتهب الشرارة في وسط مزيج مؤلّف من فحم الكوك والكلس الحيّ. فترتفع الحرارة الى ٣٥٠٠ درجة. ومن حين الى آخر يستخرج العمّال ما تجمّع من الكربور

٢ تجربة الاسيتلين

ان كربور الكلسيوم المذكور آنفاً يباع عند ارباب الصناعة على شكل قِطَع رماديّة اللون مائلة الى السُمرة. فاذا ما صُبّ عليها الماء بدأ تحلّل المواد وانبعث الاسيتلين. وعليه فان اردت الاستصباح به كفى ان تأخذ اناء يتضمّن مزيجاً من الماء والكربور فتسدّ فوهتهُ بصمام (فلّينة) مثقوب وتجعل في ثقب الصمام انبوبة رفيعة من زجاج فيوقد الغاز المتطاير

١) الامپير هي وحدة القياس لمعرفة شدة الكهرباء

٢) الفلتا هي وحدة لامتداد فعل الكهرباء

في اعلاها. الّا انّ هذا المصباح مع سذاجة تركيبه يعرّض صاحبهُ للخطر فضلًا عن انّهُ ليس بصافي وكريه الرائحة

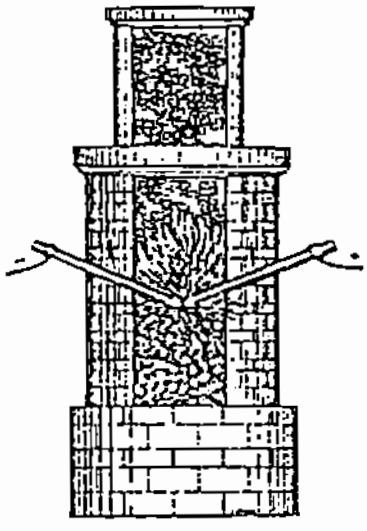

موقد الكهرباء (ص ٥٠١)

وفي واقع الحال قد بيّن الاختبار انّ الاسيتيلين اذا ضُغط ضغطًا فوق الجلدين صار قابلًا للانفجار وربّما تفجر لدواعٍ خفيفة كالتهاب في بعض اجزائهِ او لارتفاع درجة الحرارة عند مماسّة قليل من الماء لقطعة كبيرة من الكربور او لصدمة خفيفة او ايضًا لفكّ العمام النحاسيّ الذي في اعلى الاناء.

فترى ممّا سبق انّهُ لا بدّ من تجهيز مصباح الاسيتيلين ارآنيته الخاصّة بدرايةٍ كي لا يزيد فرقهُ الضغط على ثقل جلدَين. ولتلافي هذه الاخطار لم يعد ارباب الصناعة يحلّلون قطعًا ضخمةً من الكربور بقليل من الماء بل بخلاف ذلك يصبّون ماءً كثيرًا على قطع صغيرة وذلك بالتوالي على حسب اتّقاد الغاز فاذا رُوعي ذلك لم يحصل من استعمال الاسيتيلين خطر يُذكر

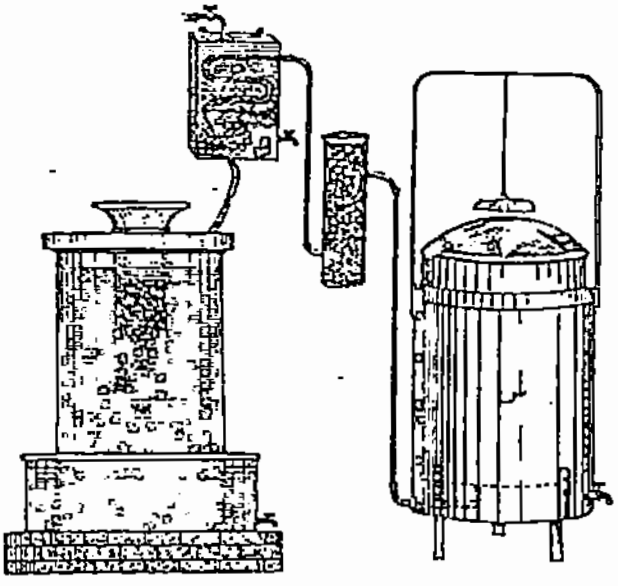

آلة تجهيز الاسيتيلين (ص ٥٠٣)

وفي الشكل الذي مثلناهُ (ص ٥٠٢) صورةُ آلة بها يتكوَّن غاز الاسيتيلين . فترى في (١) انبوبةً يُلقى بها الكربور منعَّمًا . فاذا وصل الى انا الماء (ب ب) اجتاز طبقةً من البترول وذلك ليكون سقوطهُ في الماء بهدوء ونظام . وفي اسفلهِ حوض يمرُّ بهِ الغاز ليبرد . وعند قعرهِ مصراع يتفرَّغ منهُ الغاز . واذا خرج مرَّ بانابيب الانبيق (د) ليبرد ويتصفَّى . وفي الزاورق (ج) يتخلَّص ممَّا يدخلهُ من الموادّ الغريبة كالهيدروجين الفسفوري والهيدروجين الكبريتي والنوشادر ويتطاير من ثمَّ الى خزانة الغاز . فاذا أُطلق سبيله ليوزَّع بالقساطل على العامَّة يُجفَّف قبلًا بمروره في اسطوانة تحتوي قسمًا من كربور الكاسيوم . وعند نفوذهِ في هذه القساطل يجري في عدَّة انحاء معدنية من شأنها ان تحول دون لهب المصابيح لئلَّا ينعكس الى خزانة الغاز فيحدث بذلك انفجار

ويُقتضَى للمصابيح البيتيَّة والجهازات الخاصَّة بعض شروط لتني بالمرام وتُستدرَك الاخطار . وما يعتبرهُ ارباب الصناعة في تجهيز هذه المصابيح ان يكون الغاز ذاتهُ يضغطهِ وقوَّة امتدادهِ منظَّمًا لعمل الماء باعثًا لتوليد غاز جديد . وقد تعدَّدت في هذه السنين الاخيرة انواع المصابيح وكأنَّها اتت بتحسينات مهمَّة

٣ استعمال غاز الاسيتيلين وخواصهُ

قد بيَّنَّا ان الاسيتيلين غازٌ يمكن استخدامهُ كبعض اصناف الوقود التجاريَّة . ولكن يجوز ايضًا تحويلهُ الى هيئة مائع سيَّال فيسهل بذلك نقلهُ من بلد الى آخر . واذا ما اراد صاحبهُ ان يوقدهُ ردَّهُ الى حالتهِ الغازيَّة السابقة

غير انَّ دون هذه التحويلات مخاطر كثيرة وربَّما نتج عنها حوادث مفجعة لاجل انضغاط الغاز . وقد وُجد لنقل الاسيتيلين طريقة سهلة لا تعرِّض لخطر متوقفة على بعض خواصّ هذا الغاز . وذلك انَّ الاسيتيلين اذا مُزج بالاسيتون (l'Acétone) وهو مائع لا لون لهُ تشبه رائحتهُ روح الغاز مركَّب من الكربون والهيدروجين والاوكسجين (علامتهُ C^3H^6O) تحلَّلت فيهِ سريعًا كمِّيَّاتٌ منهُ . فيكفي لتحليل اربعمائة ليتر من الاسيتيلين وعاء صغير لا يحتوي من الاسيتون فوق ليترين ويمكن ان يبلغ ضغط المائع اثني عشر جوًّا دون ادنى خطر لانفجار الغاز وذلك لقوَّة الحلِّل على الاسيتيلين

ولعلَّ هذا الاكتشاف الخطير يزيل ما وجدهُ الناس من

منقاد الاسيتيلين (ص ٥٠٤)

المشاكل الجمّة في استعمال الاسيتيلين في بيوت العامّة وفي دقاير بين البلاد الشتّى

امّا المناقيد المستعملة لايقاد الاسيتيلين فانّها تشبه في صورتها الخارجة الرؤوس المستعملة لايقاد غاز الفحم الحجري (انظر الصورة ص ٥٠٣). غير ان ثقب المنقاد او الشقوق التي يجري بها الغاز اضيق من تلك ويجب ان تكون سرعة سيلان الغاز اشدّ من سرعة الغاز الحجريّ ليكون الاتّقاد تامًّا والثلاً يتّسخ رأس المنقاد فيلتصق به الدرّن

هذا واذا كانت نسبة الهواء مساوية لنسبة الاسيتيلين انتهب الغاز بنور محمرّ قاتم. واذا تضاعفت نسبة الهواء امّا يمتزج بالاسيتيلين اضحى المزيج سريع الانفجار ولم يزل الخطر زائدًا بقدر كثرة الهواء حتى يصير الخطر في اعلى درجته اذا كانت نسبة الهواء الى الاسيتيلين نسبة اثني عشر جزءًا الى نسبة الواحد. واذا تمّت هذه النسبة فصارت كنسبة العشرين الى الواحد لم يعد يبقى خطر للانفجار. امّا في الغاز الحجريّ فان الخطر لازبٌ وشيك اذا كانت نسبة كمية الهواء اليه كنسبة ستّة الى واحد

وزد على ذلك ما قلنا سابقًا انّ الاسيتيلين يمزل عن الهواء اذا زاد الضغط عليه اضحى قابلًا للتفجّر وقد بيّنّا ما يقتضي اتّخاذهُ من الاحتياطات لاتّقاء الاخطار المتسبّبة عنهُ واذا رُوعي كلامنا صار هذا الغاز سهل الانقياد ولا خطر في استعماله

ثمّ اعلم ان في استنشاق الاسيتيلين لنا الّا انّ هذا الضرر في الغاز الحجريّ أمسّ. ويُستدلّ على سيلان الاسيتيلين برائحته فاذا شعر احدٌ بانّ بعض مجاريه ينبعث منها الغاز بحيث يتجشّع بحلّ ما فليفتح للحال منافذ الدار قبل ان يوقد منقاد الغاز فلا يبقى خطر للانفجار ولا للتسمّم كما ذكرنا عند كلامنا عن الغاز الحجريّ .

امّا نور الاسيتيلين العاديّ فابيض كثير التنوير ويشترط لذلك ان يكون امتزاج الهواء بالغاز متناسبًا. واذا قوبل نورهُ بنور الغاز مع تيار في كميتهما وجدتَ ان نور الاسيتيلين يفوق نور الغاز الحجري سبع عشرة مرّة. ويُقتضى لمنقاد ذي نور موازٍ لخمسة مصابيح كَرْسِل المثالية (ص ١٨٤) خمسة ليترات من الاسيتيلين . امّا الحرارة المنبعثة منهُ فاقلّ من الغاز الحجريّ بكثير كما انّ كميّة الحامض الكربونيك اقلّ منها في غاز الفحم بستّ دفعات

هذا وانّ ثمن الاسيتيلين ارخص انواع الوقود فانّ سعر ما يوقد منهُ اذا قوبل بسعر نور الكرسل ذي ضوء الساعة لا يجاوز سنتيمًا واحدًا. ويمكن تحويد هذا الثمن بالاقتصاد

الى التشمشع لانَّ مناقيد الاسيتيلين تقبل الغُلف المتشمشعة فتُضحي هذه المصابيح من احسن وسائل الوقود وابخسها ثمنًا فينفق منهُ في الساعة ليترات ونصف فقط

فنستطيع اذن ان نختم كلامنا عن الاسيتيلين بقولنا انَّ هذا الغاز سيحرز في المستقبل ثقة كلّ الناس وانهُ لم يعد يستحقّ ما شنعهُ بهِ الكتبة في السابق وجعل اليوم يتخذهُ الجمهور لتنوير المعامل ومعاهد الادارات والنظارات العمومية والمدارس الكبرى والمدن نفسها. على انَّهُ صار طوع امر من يستخدمهُ مع ما يجريهِ اصحابهُ من التحسين المتواصل بحيث يمكننا ان نتفاءل لهُ ملكًا بهيًّا عمَّا قريب (ستاتي البقية)

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما قبل)

٢ الكتب الفلسفيَّة

انَّ الدروس الفلسفية كانت بلغت في المشرق غاية عزّها في القرني الحادي العشر والثاني عشر المسيح تشهد على ذلك الزفّ من المصنَّفات الجليلة لمشاهير الحكماء كمتّى بن متّى والفارابيّ ويحيى بن عديّ والشيخ الرئيس ابن سينا وابن رُشد وابن جبرون وموسى ابن ميمون وغيرهم كثيرين الّا ان غزوات المغول والتتار والحروب المتواترة التي جرت في القرن الثالث العاشر قوّضت اركان هذه العلوم وحجبت انوارها الساطعة وقتما اخذ المغرب ينبعث من سباتهِ ويعكف على درس قدماء الفلاسفة وترجمة اعمالهم الخطيرة

بيد انَّ ابن العبريّ رغمًا عن خمول العرب والسريان في زمانهِ رفع بين اهل ملّتهِ منار الفلسفة وصار امامًا لكلّ من يأتمُّ بهِ. وتآليفهُ الفلسفية هي حقيقةً خريَّة بكلّ ثناء واعتبار

واوّل ما سعى بمباشرتهِ ان ينقل اعمال ارسطو الى السريانية فجاءت ترجمتهُ اوفى بالمقصود ممَّن سبقهُ من علماء السريان كسرجيس الراسعيني ويعقوب الرهاوي. وتأليف ابن العبري الكبير في الفلسفة هو الموسوم باسم زبدة الحكمة (ܙܒܕܬ ܚܟܡܬܐ) وقد دعاهُ البعض حكمة الحكم (ܚܟܡܬ ܚܟܡܬܐ). وهو يُقسم الى قسمين يتضمّن الاوّل كتب

ارسطو المنطقية يتقدّمها كتاب الايساغوجي لفرفريوس ويليها المقالات العشر ثمّ كتاب التفسير ثم الانالوطيقا الاوّل ثم الانالوطيقا الثاني او الأبوديقطيقا ثم الطوبيقا اي الجدل ثمّ السوفيسطيقا اي المغالطة ثم الخطابة ثم الشعر. اما القسم الثاني فهو يشتمل على جزئين مضمون الاوّل الطبيعيّات وما يختصّ بها كالعالم والسماء والمعادن والنبات والحيوان والنفس. ومضمون الثاني علوم ما بعد الطبيعة كاصول الفلسفة والعلم بالخالق والادبيّات والسياسة وفي كتبخانات اوربّة عدّة نسخ من هذا المجموع الشريف اقتناها في مكتبة ال بديريس. وفي خزانة كتب مكتبتنا الشرقية منهُ قسمٌ اتحفنا بهِ السيّد ايليّا ميلوس مطران ماردين الجزيل الاحترام

وقد اختصر ابن العبري هذا المصنّف الفريد بكتاب آخر دعاهُ تجارة التجارات ( ) وهو يجري على اسلوب الكتاب المتقدّم ذكرهُ فيفسّر في القسم الاوّل مقدّمات الفلسفة اي المنطق ومحتوياته وفي الثاني الطبيعيّات

ولهُ كتاب ثالث خصّصهُ بالمنطقيّات وما يلحق بها كالمقالات والجدل والانالوطيقا يسمّى كتاب الاحداق ( ) منهُ نسخة في خزانة كتب باريز الاهليّة وفي المتحف البريطاني وفي برلين

وبين هذا الكتاب وتأليف رابع لابن العبري اسمهُ كلام الحكمة ( ) علاقة كبيرة ضمّنهُ صاحبهُ ملخّص الجدل والطبيعيات واللاهوت وهو شائع في خزائن الكتب الاوربيّة

ومن تآليف ابي الفرج الفلسفية مقالة حسنة في النفس وخواصّها وقواها كتبها بالعربية في ما يفيف على خمسين فصلًا منها نسخة في مكتبتنا الشرقية منقولة عن نسختين مختلفتين وسننشرها ان شاء الله يومًا بالطبع لفوائدها. ولم نرَ لها ذكرًا في جدول كتب ابن العبري

وقد ترجم ابن العبريّ الى اللغة السريانية كتابين من انفع ما وضعهُ العرب في الفلسفة احدهما كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا فدعاهُ ( ) وكتاب زبدة الاسرار لاحد معاصريهِ المشتهرين اثير الدين الابهري (المتوفى سنة ١٢٦٢)

هذا وفي ديوان صاحب ترجمتنا عدّة قصائد فلسفيّة اودعها معاني لطيفة واشارات دقيقة على طريقة الالغاز الحكميّة

ومن عجيب امر هذه الكتب الفلسفيّة الموصوفة آنفاً انها بقيت حتى يومنا ملقاةً في زوايا المكاتب لم يطلع منها شيء. اللهمّ الّا ما ورد من ذلك في ديوان المؤلف الآتي ذكرهُ. وهذا ممّا يستدعي العجب والاندهال لانّ في نشر تلك التآليف الجليلة ما يُفيد المقابلة مع مشاهير فلاسفة القرن الثالث عشر كالبرتوس الكبير واسكندر دي هالس ومناري الكنيسة توما الاكويني وبونونتورا (١ فعسى ان يقوم بعض اصحاب النخوة من العلماء ويحيي هذه الرمم بنشرها

وممّا اخبر عنهُ اخوهُ صافي انّ علماء المسلمين كانوا يقصدونهُ ليسمعوا منهُ شرح كتب اليونان الفلسفية. (قال) وسمعنا احد علمائهم في مراغة يقول: لم اسمع ابا الفرج يفسّر مسألةً الّا وتخيّلتُ ارسطو نفسهُ متكلّماً شارحاً فلله درّهُ حكيماً وفيلسوفاً فطاحلاً

٣ كتب الرياضيّات وعلم الهيئة

كان لابن العبري ولوع في علمَي الرياضيّات والهيئة يتعمّق في مباحثهما العويصة. وقد سبق (ص ٤١٦) انّهُ في اثناء اقامتهِ بمراغة اخذ في حلّ كتب اقليدوس في المساحة (٢ ولا نعلم اذا بقي لهذا التأليف من اثر فانّ اخا المؤلف لم يذكرهُ في قائمة مصنّفاتهِ التي سردها في آخر التاريخ الكنسيّ الوارد ذكرهُ. ولعلّ ابن العبريّ تولى شرحهُ فلقّنهُ تلامذتهُ شفاهيةً ولم يجمع ذلك الشرح في كتاب

اما الهيئة فقد صنّف فيها تأليفاً يُعدّ من النفائس يُسمّى الصعود العقليّ (صعدا بصعدها) وجدنا منهُ نُسخاً حسنة في خزانة كتب السيد ايليا مطران ماردين وفي كنيسة اليعاقبة في مديات وفي الموصل. ولا تخلو منهُ مكاتب اوربّة كباريس واكسفرد والفاتيكان طبع منهُ غوتيل (Gottheil) فصلاً في رسم الارض سنة ١٨٩٠ ونقلهُ الى الانكليزية. وهذا الكتاب يقسم الى قسمين يحتوي اولهما ثمانية فصول يفحص فيها اقوال الاقدمين عن هيئة الارض والسماء ثم يبسط القول تباعاً عن الشمس والقمر والسيّارات وافلاكها الخاصّة ثم يبيّن اعراض السيّارات وحركاتها وما يختصّ بالنجوم الثوابت. اما القسم الثاني ففيهِ سبعة

١) راجع مقالةً وردت في المجلّة الاسيويّة للعلّامة ارجين بوره (E. Borè) يبيّن فيها فضل ابن العبري في الفلسفة Journ. Asiat. 1834, XIV, 481-508

٢) Barheb. *Chron.* II, 443

فصول يبحث فيها عن هيئة الارض والاجرام العلوية وتقسيم الارض الى سبعة اقاليم وعن الجزائر والبحار والانهار وعن صورة السماء على اختلاف مقام الراصد ثم صعود الكواكب ثم الظل واقسام الزمان وبُعد الكواكب عن الارض وعظم اجرامها بالنسبة الى عالمنا. وكل هذه الابحاث تحتوي على ابواب كثيرة. وفي اسماء الفصول شاهد صادق على نفاسة هذا الكتاب الجليل الذي يجعل لابن العبري مرتبة عليا بين قدماء الفلكيين. ومما يزيد الكتاب حسناً ما جمّله به صاحبه من الرسوم والاشكال الهندسية

وفي هذا التأليف اشارات الى بعض الاكتشافات الحديثة اخذنا العجب لما أطلعنا عليها السيد المطران ايليا المذكور سابقاً

واحرز له ابن العبري ذكراً طيباً بتفسير كتاب المجسطي لبطليموس المدعو باصلو اليوناني (Claudius Ptolemaeus) وهو تصنيف في علم النجوم وحركات الأفلاك بذل العرب في شرحه والتعليق عليه النفس والنفيس فلم يرضَ ابن العبري الّا ان يتتبّع اسرار معانيه ويغوص في اعماقه لالتقاط دراريه. فشرحه كما سبق في سنة ١٢٧٣ لما كان مقيماً في مراغة (١ ونأسف على فقد هذا التفسير الذي لم نجد لذكره اثراً في مكاتب الشرق والغرب

ويلحق بهذا الباب كتاب المزيج الكبير (ܟܬܒܐ ܪܒܐ ܕܙܝܓܐ) اي معرفة حركات الكواكب لاستخلاص التقويم السنوي وتعيين الاعياد المتنقلة وضعهُ ابن العبري ليخفف على العامّة مؤونة التفتيش عن هذه الامور المهمّة. وقد بقي من هذا الكتاب نسخة حسنة بين مخطوطات الفاتيكان يبلغ عدد صفحاتهِ نحو الاربعين صفحة

٩ الكتب التاريخيّة

ان كان لابن العبري فضلٌ عظيم بالتصانيف السابقة الذكر فهو في كتبهِ التاريخية افضل منهُ في ما سواها ولولاها لفاتنا خبر حوادث كثيرة وذكر جمٍّ من مشاهير الشرق وكتبهِ المبرّزين لاسيّما انّهُ اخذ عن غيرهِ من المؤرّخين ممّن ضاعت تآليفهم او عزَّ وجودها. وذلك هو الداعي لاقبال الاوربيين على كتبهِ التاريخية فتسابقوا الى نشرها قبل غيرها

وهذه التواريخ عبارة عن تأليف واسع دعاهُ كتاب تاريخ الازمنة (ܟܬܒܐ ܕܡܚܘܝܐ ܙܒܢ̈ܐ) وقسمهُ الى ثلاثة مجلّدات يحتوي اوّلها كتاب تاريخ الدول يتضمّن اخبار العالم

(١ Chronicon III, 443

ودولهِ العشر الكبرى منذ الخليقة الى قرب سنة وفاة المؤلف (١٢٨٤) . وهذا الكتاب اصلهُ بالسريانية طبعهُ لاوّل مرّة برُنس وكِرش (Bruns et Kirsch) سنة ١٧٨٩ في جزئين ونقلاهُ الى اللاتينيّة وهي طبعة تشوّهها اغلاط لا تُحصى . وقد جدَّد طبع هذا الكتاب النفيس ووفّاهُ حقَّهُ من الاصلاح والتحسين حضرة الاب العازاريّ الكلدانيّ العلاّمة بدجان (Bedjan) سنة ١٨٩٠ وهو مطبوع بالحرف الكلداني البديع

وهو القسم التاريخيّ الذي كما قلنا سابقًا عرَّبهُ ابن العبريّ تلبية لطلبة بعض وجهاء المسلمين وقد زاد على هذا الكتاب عدَّة افادات نقلها عن مشاهير مؤرّخي العرب كالطبريّ وابن الاثير ومن مزايا هذه النسخة العربية تراجم الفلاسفة الحكماء والاطباء الذين اشتهروا في كلّ زمان اخذ كثيرًا منها عن كتاب الحكماء لجمال الدين القفطيّ وعنهُ روى ما اثبتهُ في تاريخهِ (ص ١٧٦) عن حرق مكتبة الاسكندرية . ولهذا التعريب طبعتان الاولى سبق اليها المستشرق العلاّمة بوكوك سنة ١٦٦٣ في اكسفُرد مع ترجمتها الى اللاتينية ثم نُقلت الى الالمانية بهمّة العالم بَوَر (Bauer) سنة ١٧٨٣ اما الطبعة الثانية فقام بنشرها حضرة الاب صالحاني اليسوعيّ وهي تفضل الاولى من وجوهٍ شتّى من حيث الاتقان والضبط وحسن الحرف مع ما في ذيلها من الحواشي المهمّة وهي ملحقةٌ بفهرس مطوّل لاعلام النفوس والامكنة يليهِ جدول كامل للمقابلة بين التاريخين المشهورين الهجري والمسيحي

اما القسم الثاني من تاريخ ابن العبريّ فهو اجلّ من الاوّل وانفع وكان العلاّمة السمعانيّ نقل عنهُ صفحاتٍ مطوّلة في كتابهِ الشهير الموسوم بالمكتبة الشرقية حتّى اهتمّ بطبعهِ تمامًا وترجمتهِ الى اللاتينية السيّدان الفاضلان ابّاس (M^gr Abbeloos) ولامي (M^gr Lamy) وهو مشروع جليل تامّا بهِ احسن قيام (في لوفان سنة ١٨٧٢ و١٨٧٣) . ولهذا القسم فرعان يتضمّن الاوّل في مجلّدين ملخّص اخبار قدماء الاحبار من اهرون اخي موسى النبيّ الى حنّان نقلًا عن الاسفار المقدّسة وتاريخ يوسيفوس ثمّ اسماء بطاركة انطاكية من بطرس هامة الرسل الى القديس فلاڤيان (المتوفّى سنة ٥١٨) مع ذكر تراجمهم واخبارهم . ثمّ تاريخ ساويرس اوّل بطاركة اليعاقبة السريان وخلفائهِ الى نمرود الملقّب بفيلوكسين وهو الذي مرَّ لنا شرح ترقيتهِ الى الرتبة البطركية . وفي ايّامهِ مات ابن العبريّ . وقد شفع بعضُ كتبة اليعاقبة هذا الجزء من الكتاب بملخّص اخبار البطاركة الى البطريرك مسعود

زازي المتقاعد عن رتبته في سنة ١٤٩٥ م. ويلي ذلك جدول لبقية اسماء بطاركة السريان اليعاقبة ثمَّ من ارتدَّ منهم الى حجر الكنيسة الرومانية. والفرع الثاني مضمونهُ اخبار من خلف القديس توما الرسول من الاساقفة في العراق منذ زمن القديس ماري مؤسس كرسي المدائن الى غاية الربع الاول من القرن السابع. ثمَّ ذكر ابن العبري بعد هؤلاء سيامة ماروثاس المفريان سنة ٦٢٩ م على تكريت وكيف صار هذا الكرسي الى يد مفارين اليعاقبة الذين اورد ابن العبريّ اخبارهم مفصَّلةً الى زمانهِ. وقد الحق اخوهُ برصوما صافي المتوَلي رتبة المفريان بعدهُ هذا الجزء من الكتاب بترجمة ابي الفرج اخيهِ. ولهُ مُلحق آخر بقلم بعض كتبة اليعاقبة فيهِ اخبار من جازوا برتبة المفريان من عهد ابن العبري الى اواخر القرن الثامن عشر للمسيح. وقد اتمَّ السيد لامي هذه الجداول الى زماننا مع قائمة بطاركة القسطرة الذين اتوا بعد زمان ابن العبريّ وختمهُ بملخص تاريخ بطاركة الكلدان المتحدين مع الكرسي الرسولي من عهد يوحنَّا سولاقا. وفي آخر الكتاب فهرس عامّ جزيل المنفعة

وهذا التاريخ الكنسيّ لابن العبريّ كلهُ فوائد لا يستغني عنهُ من اراد معرفة احوال الكنائس الشرقية واخبار بطاركها ومشاهير رجالها واسباب انحطاطها جازى الله خيرًا مؤلفهُ ونفعنا بعلم امثالهِ في شرقنا العزيز (ستأتي البقية)

كتاب النبات والشجر للاصمعي

سعى بنشرهِ الدكتور اوغست هفنر

(تابع لما سبق)

[فَصْلٌ فِي ٱلنَّبْتِ مِنَ ٱلْأَحْرَارِ وَغَيْرِ ٱلْأَحْرَارِ *]

وَٱلْأَحْرَارُ ٱلْبَقْلِ مَا رَقَّ وَعَتُقَ (وَمَعْنَى عَتُقَ كَرُمَ . وَٱلْعَتِيقُ ٱلرِّقَّةُ[1])،

* في الفصول الآتية رأينا ان نذكر اسماء النبات الذي ادرك العلماء حقيقتهُ فعرَّفوهُ

---

١) يريد انهُ لا يُرَاد بالعتيق هنا معنى القِدَم لكن الحُسن والكرم

وَذِكْرُ ٱلْبَقْلِ مَا غَلُظَ مِنْهُ.[1] (فَمِنَ ٱلْأَحْرَارِ) ٱلذُّرَقُ وَهُوَ ٱلْخُنْدَقُوقُ[2]، وَٱلْبَقْلُ وَهُوَ قَتُّ ٱلْبَرِّ[3]، وَٱلْحُرْبُثُ[4]، وَٱلْيَنَمَةُ[5]، وَٱلْحُمَّارُ[6]، وَٱلسُّمْدَانُ[7]، وَٱلدَّعَالِقُ[8] (وَٱلْوَاحِدُ ذُعْلُوقٌ)، وَٱلْحُوذَانُ[9] | وَٱلْوَاحِدُ حُوذَانَةٌ |،

باسمه الاصطلاحيّ عندهم. وهذه اسماء الكتب التي اخذنا عنها مع الاختصارات للدلالة عليها: B.: Boissier, *Flora Orientalis*; E.: Euting, *Verhandlungen der Gesellschaft für Erdkunde Berlin* 1886, p. 268 seq.; L.: Löw, *Aramæische Pflanzennamen*; Lc.: Leclerc, *Ibn al-Baithar, Traité des Simples, Paris*, 1881; P.: Post, *Flora of Syria, Palestina and Sinaï*.

---

١) قال ابو الهيثم: احرار البقول ما رقّ منها ورَطُب وذكورها ما غَلُظَ منها وخَشُنَ

٢) قال في اللسان: الذُرَق واحدتها ذُرَقة نبات كالفِسْتَة تسمّيه الحاضرة خَنْدَقُوقى وخَنْدَقُوق وخِنْدَقُوق. قال ابو حنيفة: لها نَقيحة طيّبة فيها شبهُ الثتّ تطول في السماء كما ينبتُ الثتّ وهو ينبتُ في القيعان ومناقع الماء (Lc., Mélilot)

٣) البقل من النبات ما لا يبقى لهُ ساقٌ على الشتاء بعد ما يُرعى. وقيل كلّ نابتة في اوّل ما تنبت فهو البقل. وقيل ان البقل ما اخضرّت لهُ الارض (P., Portulaca Linnée). امّا القتّ فهي الفصفصة وهي الرَّطْبة من عَلَف الدوابّ (Lc., Luzerne)

٤) وصفهُ في المحكم وغيره بانّهُ نبات سَهْلي اسود ذو زهرة بيضاء وهو يتسطّح قضبانًا لهُ ورقٌ طوال يتخلّلها ورقٌ صغار يقال انهُ من اطيب المراعي

٥) اليَنَمة عُشْبة طيّبة من احرار البُقول تنبت في السهل ودكادك الارض لها ورقٌ طوال لطاف مُحدَّد الاطراف عليهِ وَبَر أغبر كانّهُ قِطع القِراء وزهرها مثل سِبلة الشعير لليَنَمة حبٌّ صغير كثير يسمن عليهِ الابل (Lc., Hieracium philosella.)

٦) الحمّار من نبات القيعان والجلّد ولهُ سُنبل يُشبه الزُبّاد الّا انهُ اضخم منهُ ورقًا وهو من اطيب مأكل الماشية

٧) السُمْدان نبتٌ مشوك لون شوكهِ كالح اذا يبس تُشبّه بهِ حلمة الثدي ومنبتهُ السهول وهو من اطيب مراعي الابل اذا كان رطبًا يضرب في طيبهِ المثل L., Neurada procumbens

٨) قيل انهُ نبت يُشبه الكُراث (E., 269)

٩) جاء في اللسان ان الحوذان نبت من نبات السهل يرتفع قدر الذراع لهُ زهرة حمراء في اصلها صفرة وورقهُ مدورة وانهُ حلوٌ طيب الطعم (P., Nymphéa Linnée, cfr E. 296)

وَالْحُرْف[1]، وَالْخِطْمِيُّ[2]، وَكَفُّ الْكَلْبِ[3]، وَالْحَلَمَة[4]، وَالْقَفْعَاء[5]، وَالتَّرْبَة[6]، وَالْإِسْحَار[7]، وَالْحُوَّاء[8]، وَالزَّبَّاد[9]، وَالْخِنْزَاب[10] وَهُوَ جِزَرُ الْبَرِّ (قَالَ جِزَرٌ بِكَسْرِ الْجِيمِ)، وَالْحَنْوَة[11]، وَلِحْيَةُ التَّيْسِ[12]، وَالْبَسْبَاس[13]، وَالْإِسْلِيخ[14]،

---

١) قال الازهري: انّ الحُرْف حبّ كالمرداسنجه العامّة حبّ الرشاد

٢) الخَطمي بفتح الخاء وكسرها ضرب من النبات يُغسل به يدعوه الفرنج (Lc., Guimauve

٣) كفّ الكلب عُشبة منتشرة تنبت بالنيمان وبلاد نجد تُشبّه بكفّ الكلب اذا يبست (Lc., Spartium junceum). قال ابن البيطار (٤: ٧٩) كفّ الكلب هو البدسكان

٤) قال في اللسان: هو نبات ينبت في السهل (B., Heliotropium Halame)

٥) وفي الاصل القفعاء وهو تصحيف. قيل انّ القفعاء حشيشة ضعيفة خوّارة من احرار البقول لها نور احمر وقال ابو حنيفة: انها شجرة خضراء ما دامت رطبة وهي قضبان قصار تخرج من اصل واحد لازمة للارض لها ورق صغير (E., 269)

٦) ورد في اللسان: التربة ويقال التَّرَبة والتُّرباء نبت سهلي مفرّض الورق وقيل هي شجرة شاكّة وثمرها كانّها بُسرة معلّقة منبتها السهل والحَزْن وعامة (F., 269)

٧) رُوي عن الازهري عن النضر بن شميل انّ الاسحارة بقلة حارّة تنبت على ساق لها ورق صغار وحبّ اسود يسمن عليه المال

٨) وصفهُ ابو حنيفة بانهُ بقلة لازقة بالارض ويسمو من وسطها قضيب عليه ورق ادقّ من ورق الاصل وفي رأسه برعومة طويلة فيها بزرها (E., 269)

٩) وفي الاصل الزناد وهو غلط. قال ابن سيده: الزبّاد والزُّبّادى والزُّبّاد كلّهُ نبتٌ سهلي لهُ ورق عراض وسَنَفة وقد ينبت في الجلد يأكلهُ الناس وهو طيّب. قال ابو حنيفة: ورقهُ صغير منقبض مثل المَرْزَنجوش

١٠) ويقال خُنزوب ايضاً ولم يوصف في كتب اللغة

١١) الحَنْوة نبات سهلي طيب الريح. وجاء في اللسان: وقيل هي عشبة وضيئة ذات نَوْر احمر ولها قُضُب وورق طيّبة الرّيح الى الغبرة والجمودة ما هي وقيل هي آذريون البرّ. وقال ابو حنيفة: الحَنْوة الريحانة. ويروى في الاصل: الحنا. وهو غلط

١٢) هو النبات المدعو عند العلماء

١٣) وفي الاصل البساس وهو تصحيف. والبسباس نبات طيب الريح Lc., Tragopogon et Ciste, Cistus villosus) يشبه طعمهُ طعم الجزر يدعوهُ الفرنج (Lc., Fenouil)

١٤) قيل انّها بقلة تنبت في الشتاء وقيل هي عُشبة تشبه الجرجير تنبت في الرمل وقيل هو نبات سُهلي ذو ورقة دقيقة لطيفة وسَنفة عشوّة حيّاً كحب الخشخاش. وجاء في الاصل: الاسليخ بالخاء. وهو غلط

وَٱلْحِنَّاءُ[1] ، وَٱلْقُرَّاصُ[2] ، وَٱلْجِرْجَارُ[3] ، وَٱلْقُلْقُلَانُ[4] ، وَٱلْمِلَّاحُ[5] ، وَٱلْحَمِيصُ[6] وَهُوَ بَقْلَةٌ حَامِضَةٌ تُجْعَلُ فِي ٱلْأَقِطِ ، وَٱلْقَصِيصُ[7] وَٱلْإِجْرِدُّ[8] وَهُمَا شَجَرَتَا ٱلْكَمْأَةِ ٱللَّتَانِ تُعْرَفُ بِهِمَا وَأَنْشَدَ :

جَنَيْتُهَا مِنْ مُجْتَنَى عَوِيصِ مِنْ مَنْبِتِ ٱلْإِجْرِدِ وَٱلْقَصِيصِ[9]

(هٰكَذَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ بِكَسْرِ ٱلرَّاءِ . وَهُوَ ٱلصَّوَابُ . وَيُرْوَى : مِنْ مُجْتَنَى ٱلْإِجْرِدِ وَٱلْكَرِيصِ[10] . وَيُقَالُ : كَرَّصُوا ٱلْأَقِطَ إِذَا طَرَحُوا فِيهِ ٱلْكَرِيصَ) ، وَٱلْخَرْشَاءُ[11] وَهِيَ خَرْدَلُ ٱلْبَرِّ وَأَنْشَدَ :

وَأَنْحَتُ مِنْ خَرْشَاءَ فَلْجٍ خَرْدَلَهْ

---

١) الحنّاء شجرةٌ معروفة يدعوها العامة (L., Lausonia inermis)

٢) هو نبت معروف حامض الطعم زهرهُ اصفر وحبّهُ احمر . وقد قيل انَّ القُرّاص البابونج وهو نور الاقحوان اذا يبس (L., Camomille, Parthenium)

٣) ويقال جِرجِر وجَرجير . قال ابو حنيفة : الجَرْجار عُشبة لها زهرة صفراء وزاد الازهريّ انهُ نبتٌ طيّب الريح (P. L., Eruca sativa, Nasturtium ; Lc., Roquette)

٤) ويدعى ايضاً قِلقِلًا وقلاقلًا . وصفهُ في اللسان بما حرفهُ : هو نبت ينبت في الجَلَد وغِلظ السَّهل ولا يكاد ينبت في الجبال ولهُ سِنْف أَفيطح ينبتُ في حبّات كالثَّمن السدس فاذا يبس فانتفخ وهبَّت بهِ الريح سمعتَ قَلْقلتهُ كانهُ جرس ولهُ ورق اغبر اطلس كانهُ ورق القصب (Lc., Cassiatora de Forskal ; E. 268)

٥) بقلة غضّة من نوع الحَمْض منبتها القيعان فيها حُمْرة تؤكل مع اللبن ولها حبٌّ يجمع ويُخبَز فيؤكل (Lc., Androsaces de Dioscorides ; P., Reaumuria Linnée) . وفي الاصل : الملاخ . وهو تصحيف

٦) وجاء في الاصل مصحّفاً : حضيض . وهي بقلة حامضة طيبة الطعم تُجعل في الاقط تأكلها الناس والمواشي . قال الازهري : هي جَمْدة الورق حامضة ولها ثمرة كشمرة الحمّاض وطعمها كطعمهِ (L., Oxalis corniculata ; E., 269)

٧) نبتٌ في اصولهِ تنبت الكمأة وقد يُحمل غلطاً للرأس كالخطميّ

٨) الإجرِدّ ويقال إجرِد بالتخفيف هو ايضاً من النبات الدالّ على الكمأة

٩) ويروى : من مَنبِتِ عويص . وفي الاصل : الحضيض . وهو غلط

١٠) الكريص هو الأقط وقيل الاقط المجموع المدقوق . وفي الاصل قد صُحّف بالكريض

١١) نبات ينبت في السهل يتسطّح على وجه الارض وفيه خُشنة ويرتفع لهُ من وسطهِ قصبة

وَٱلْبَرُوقُ (١) وَهُوَ فُلْفُلُ ٱلْبَرِّ ، وَٱلرَّقَمَةُ (٢) ، وَٱلْكَفَنَةُ (٣) ، وَٱلصُّوَّافُ (٤) ، وَٱلصُّوفَانُ (٥)

(وَمِنَ ٱلنَّبْتِ غَيْرِ ٱلْأَحْرَارِ) ٱلسَّخْبَرُ (٦) ، وَٱلنَّدْغَةُ (٧) (وَٱلْجَمَاعُ ٱلنَّدْغُ) وَهُوَ صَعْتَرُ ٱلْبَرِّ ، وَٱلْعِتْرُ (٨) قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَٱلْعِتْرُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلشَّجَرِ يَنْبُتُ مُتَفَرِّقًا ، وَٱلرَّمْرَامُ (٩) ، وَٱلْهَلْتَى (١٠) ، وَٱلنَّجْمَةُ (١١) (قَالَ ٱلْمَازِنِيُّ فِيهِ نَجْمَةٌ) (ستأتي البقية)

طويلة في رأسها حبّتهُ واذا لمس منهُ الانسان ورقةً لزقت بلسانهِ . وقيل انهُ خردل البر (Lc., Moutarde sauvage)

١) البروق شجر ضيف لهُ خطرة دقاق في رؤوسها قماعيل مثل الحمّص فيها حبّ اسود وهو لا يُرعى (L., Asphodelus)

٢) جاء في اللسان : الرقمة نبات ينال انهُ الحُبّازى وقيل انّما من العُشب العظام تنبت مسطّحة غضّة كبارًا وهي من اوّل العُشب خروجًا تنبت في السهل واوّل ما يخرج منها ترى فيهِ حمرةً كالدهن الناقص ولا يكاد المال يأكلها الّا من حاجة (E., 268)

٣) وصفها في لسان العرب بكونها شجرة من دقّ الشجر صغيرة جمدة اذا يبست صَلُبت عيدانها . . . وقيل هي عُشبة منتشرة التّبتة على الارض تنبت بالقيعان و بارض نجد . وفي الاصل : الكَفْتة وهو تصحيف ٤) كذا في الاصل ولعلّها لفظة مصحّفة

٥) الصوفانة بقلة من احرار البقول وهي زَغْباء قصيرة

٦) السَّخْبَرة شجرة اذا طالت تدلّت رؤوسها وقيل انّما من شجر الشّام لها عُنصب مجتمعة وجرثومة وعيدانهُ كالكُرّاث في الكثرة

٧) وتجوز نِدْغة بالكسر صُحّفت بالاصل بالبدغة . وهو الصعتر البرّي الذي تسلّ عليهِ النحل لهُ زهر صغير شديد البياض (L., Origanum ; Lc., Sariette sauvage)

٨) العِتر بالكسر (وفتحهُ بالاصل غلط) بقلة وهي شجرة صغيرة شاكة كثيرة اللبن كانّ ورقها الدراهم تنبت فيها جراء صغار امثر من جراء القُطن توكل اذا كانت غضّة .

٩) قال ابو حنيفة : الرّمرام عُشبة شاكة الميدان والورق تمع المسّ ترتفع ذراعًا وورقها طويل ولها عرض وهي شديدة الخُضرة لها زهرة صفراء تحرص عليها المواشي (Lc., Chenopodium murale)

١٠) قال الازهري وغيرهُ : هو كبات الصِّبْيان الّا انّ لونهُ الى الحمرة . ويزيد حمرةً اذا يَبِس ١١) قيل انّها شجرة تنبت ممتدّة على وجه الارض (Lc., Chiendent) . والنجم ايضًا اسم لما لا ساق لهُ من النبات

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وهذه نسخة مثال من الملك الصالح ايُّوب ابن الملك الكامل محمَّد سلطان مصر والشام الى نجم الدين محمَّد المذكور. العلامة: ايوب بن محمد بن ابي بكر بن ايوب. هذه العلامة بعد البسملة المعظَّمة. وسطرٌ مضمونه: ليعلم الاميرُ الاجلّ الاخصّ المقدّم نجمُ الدين زين القبائل عُمدة الملوك والسلاطين اطال الله بقاءهُ وادام توفيقهُ وحراستهُ وتسديده ورعايتهُ شكرًا لخدمته ومضاء عزمته ونُخص ولائه وطاعته ليطيبَ قلبهُ ويشرح صدرهُ ويثق منَّا باجرائه على مشكور قاعدته ومستقرّ قاعدته والاحسان الذي تقرُّ به عينهُ ويبسط أملهُ والزيادة في معلومه الشريف لهُ ولمن معهُ فيستجلب كلَّ من يقدر عليه للخدمة ويعرّفهم ما لهم منها وفي المحافظة عليها من سابغ النِّعَم. ونحن بمشيَّة الله واصلون الى البلاد عن قريب فليكن الامير على أُهبة للقائنا هو ومن معهُ ليظهر عليهم اثر الانعام ولتُجزوا من الاكرام والتقريب أوفر الاقسام ويطالع بمجدداته (١ وكتب في سادس شهر ذي الحجَّة (٢ . ولم يُذكر اي سنة سكن نجم الدين المذكور طرديا وتزوَّج من الغزنويَّة من المطاوعة (٣ واما وفاتهُ فاني قد وجدتُ بخطوط السلف مكرَّرًا في عدَّة مواضع وهو انَّ اولاد ابن امير الغرب (٤) نجم الدين محمد واخيه شرف الدين عليّ قُتلوا في ثغرة الجوزات (٤ يكسروان في السادس من ربيع الآخر سنة اربعين وستمائة (١٢٤٢م). واسماء اولاده جمال الدين يحيى وسعد الدين خضر

الطبقة الاولى

ولدهُ جمال الدين حيّي بن نجم الدين محمَّد بن حيّي

ثمَّ من بعده نذكر ولدهُ جمال الدين ويُعرف بجمال الدين الكبير. لهُ منشور من الملك

---

١) كذا في الاصل والمعنى مبهم ٢) راجع الصفحة ٦٦٨ من كتاب اخبار الاعيان

٣) الاصل مبهمٌ في هذه الالفاظ الاخيرة. والغزنوية دولة ملكت في الهند

٤) في الاصل التباس وفيه ورد ما حرفهُ: « وهو (كذا) قتلوا اولاد ابن امير الغرب نجم الدين محمد واخيه شرف الدين عليّ في ثغرة الجوزات »

الناصر (١ يوسف ابن الملك العزيز سلطان دمشق (٢ العلامة : « الحمد لله على نعمائه » جهاتهُ : عرامون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمطون وقدرون ومرتعون والصباحيّة وسرحمور وعيناب وعين عنوب والدوير (٣ تاريخهُ في خامس وعشرين صفر سنة خمسين وستمائة (١٢٥٢ م)

ولهُ ايضاً منشور من الملك الظاهر بيبرس : العلامة « المستعان بالله » وجهاتهُ : عاليه وتجدليّا وشارون وعرامون وعين درافيل وطردلا ودقُّون وعين كسور وقدرون وشلال ومرتعون وسرحمور وبطلون وعيناب والدوير وبتاثر وبيصور وكفرعميّة وعيتاث (٤ تاريخهُ في رجب من سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١ م)

وكان لهُ ولد اسمهُ نجم الدين محمّد سمّي جدّهِ وكان اكبر ولدهِ فهمّهُ وظاهر منهُ ما اوجب طردَهُ عنهُ . ولجمال الدين منشور من الملك المنصور قلاوون من مضمونهِ بان يقيم عوض ولدهِ نجم الدين محمّد اخاهُ شهابَ الدين احمد وذلك لسوء سيرة نجم الدين وعدم شكر الناس منهُ . وجهاتهُ جهات المنشور الأول تاريخهُ في الحادي والعشرين من ذي الحجّة سنة (٥ (٦٧٩)

ولمّا حضر هلاوون (٦ ملك التتار الى مملكة الشام واضطربت دولة الاسلام توجّه

---

١) جاء في ذيل الكتاب : « حاشية مقدّمة على منشور الناصر . ومن الناصر هذا ترقيع ايضاً لجمال الدين حجّي باجراتهِ على اقطاعهِ وعوائدهِ ووصيّتهِ بهِ . تاريخهُ صفر سنة ثمان واربعين وستمائة ويُسند في التوقيع على المنشور الذي بيدهِ من الملك الصالح عماد الدين »

٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمّد بن غازي بن صلاح الدين كان مالكاً على حلب فدعاهُ اهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) . ولما ظهر التتار اخذوا منهُ حلب ففرَّ منهم هارباً الى غزّة ثمّ شخص الى هولاغو فاكرمهُ اوّلاً ثم امر بقتلهِ وقتل اخيهِ الملك الظاهر غازي سنة ٦٥٩ (١٢٦١)

٣) اغلب هذه القرى موقعها في مقاطعة الغرب الاسفل . وقد مرَّ ان الدُّوَير من مقاطعة الجرد

٤) عين عنوب وسرحمور وعرامون وعين كسور من الغرب الاسفل . وعاليه وعيتاث وبيصور وشلال وعيناب وتجدليّا من الغرب الاعلى . ودقُّون وعين دارفيل من الشحار التي قاعدتها اعبيه . وكفرعميه والدوير وشارون من الجرد والقاعدة فيها بتاثر

٥) كذا جاء بدون تعريف السنة . وجاء في ذيل الكتاب : « وقفتُ على نسخة من جمال الدين حجّي المذكور لاولادهِ جميعهم دون محمّد وجعل محمّد محروماً . وتاريخ التسليك ثاني ذي القعدة سنة ست وثمانين وستمائة (١٢٨٧ م) وهو مثبوت على القضاة

٦) يريد هولاغو ملك التتار فاتح بغداد المتوفى سنة ٦٦٤ (١٢٦٦ م)

جمال الدين محمد المذكور الى دمشق فلم يلحق الملك الناصر صاحبها ثم استولى كتبغا عليها بالنيابة عن استاذهِ هلاورن. فاجتمع جمال الدين بالمذكور وكتب لهُ منشورًا على طرَّتهِ غير العلامة فوق البسملة: «مالك بسيطة الارض هولاكو خان زيدت عظمتهُ». واما العلامة فبعد البسملة الشريفة وسُطِّر بعدها بخطٍّ ضعيف «توكلتُ على الله». وأمَّا بدء الترجمة: رُسم بالامر العالي المولوي السلطاني الملكيّ السيدي المجيديّ زاد الله في علائهِ وضاعف موادَّ نفاذهِ ومضائهِ ان يُجرى في اقطاع الامير الاجلّ الاوحد الاعزّ المختار جمال الدين عمدة الملوك والسلاطين حجّي بن محمد ابن امير العرب ادام الله تأييدهُ وتمكينهُ وتمهيدهُ ما رُسم لهُ بهِ من الاقطاع كما تضمَّنهُ المنشور الناصري الذي بيدهِ. واما جهاتهُ فهي المذكورة في المنشور الاوَّل اختصرتُ عن ذكرها وعن ذكر بقية شرح المنشور. وتاريخهُ سابع رجب سنة ثماني وخمسين وستمائة (١٢٦٠م)

ومن مضمون جوابٍ من ملك الامراء آقوش (١ النجيبيّ نائب الشام عن الملك الظاهر بيبرس (٢ لنجم الدين المذكور يشكرهُ على ما اخبرهُ بهِ من امر زواج صاحب قبرس لبنت صاحب بيروت. ويقول في الجواب انَّهُ لا يسمع عن نجم الدين الَّا خيرًا ولا يقال في حقّهِ الَّا الجيد وانهُ يطيب قلبهُ ويشرح صدرهُ

[ووقفتُ على مكتوب (٣ من رناط (٤ الفرنجيّ صاحب صيداء انهُ اعطى (٥ حجّي المذكور شكارة بدار ثلثة اهراء قمح في قرية الداهور ملكًا لهُ ولولدهِ ولمن يقوم مقامهُ وانَّ ذلكَ بواسطة سير رناط (٤ دُمونيه والكند اسطبل (٥ سير حوان (٦ تاريخهُ تمسار

---

١) راجع ص ٢٧٥ ٢) راجع الصفحة ٢٢٥ ٣) هذا المكتوب كان المؤلف قدَّمهُ سهوًا فذكرهُ في جملة مناشير جمال الدين حجّي بن كرامة ونبَّه في حاشية على غلطهِ (راجع ص ٤٦٩)

٤) كذا ورد هذا الاسم بالاصل وفي آخر الكتاب اوردهُ على صورة «ترناط» وانَّهُ في كلا الكتابين تصحيف ولم نجد في تواريخ الفرنج اسمًا لاصحاب صيداء يطابق هذا الاسم غير اسم Renaud de Sagette. الَّا انَّ هذا توفّي نحو سنة ١٢٠٣م (راجع كتاب Rey: *Les Familles d'outre-mer*, p., 432. اما في تاريخ المنشور (اعني سنة ١٢٥٥) فكان المتولي على صيداء يُليان ابن الامير باليان بن رينلد (ارناط)

٥) الكند اسطبل تعريب اللفظة اللاتينيَّة (Comes stabuli) اي امير آخور والفرنج يدعونهُ (Connétable)

٦) كذا في الاصل ونظن ان «حوان» تصحيف جوان يريد جوان دي لاتور (Johann de la Tour) كان متولّيًا رتبة كند اسطبل في صيداء من سنة ١٢٥٣ الى ١٢٦١ (راجع جداول الفرسان الالمانيين (Tab. Ord. Theut. 103, 114, 117)

الخميس الموافق لسنة الف وخمسمائة وسبع وستين للاسكندر (١]

ومن كتاب من آقوش المذكور ايضاً الى جمال الدين يفيده (٢ 26) انهُ بلغهُ انهُ قلّ رجالهُ وانّ هذا الوقت يجب فيهِ التيقُّظ وان يقوم بتجهيز الرجال الى جهة صيدا.

ومن مضمون مثال من ملك الامراء لاجين (٢ نائب الشام عن الملك المنصور قلاوون الى جمال الدين وزين الدين ابن علي انهُ اذا بلغهما توجُّه المقرّ الشمسيّ سنقر المنصوري (٣ بالعساكر المنصورة الى جهة كسروان والجرد يتوجّها اليهِ بجموعهما وأسرتيهما وانّ من سبى امرأةً منهم كانت لهُ جاريةً او صبياً كان لهُ مملوكاً ومن احضر منهم رأساً فلهُ دينار وانّ سنقر توجّه لاستئصال شأفتهم ونهب اموالهم وسبي ذراريهم وانفسهم. تاريخهُ سابع جمادى الاولى سنة ست وثمانين وستمائة (١٢٨٧ م)

ومن مضمون مثال آخر من لاجين ايضاً الى جمال الدين بفرده بان يحضر الى دمشق هو واولادهُ طيّبي القلوب منشرحي الصدور ليجدّدوا الأيمان على نفوسهم للسلطان كما جدّدها الامراء ومقدّمو الحلقة وان لا يناجزوا ولا يسبقهم الى الطاعة الشريفة غيرهم. تاريخهُ في العشرين من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . (١٢٩٠ م) وهذا الحلف كان للسلطان الملك الاشرف خليل لانّ والدهُ المنصور قلاوون توفّي في السادس من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة. وقد برز ظاهرَ مصر لقصد عكّة وربّما كان تأخّر سنقر المنصوري عن كسروان بهذا السبب فتأخر امرهم الى سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢ م) وجرى الامر كما ذكرناهُ في توجُّه العساكر المصريّة (٤ 26) الى كسروان وعودهم منهُ شبه المكسورين. ثمّ كانت ابادة آل كسروان سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥ م) في ايّام الناصر محمد بن قلاوون (٤ (ستاتي البقية)

---

١) ورد في حاشية الكتاب ما نصّهُ: « نذكر بيان هذا التاريخ مع تاريخنا اليوم وهي سنة اربعين وثمانمائة عربيّة هجريّة (١٤٣٦ م) وتوافق سنة الاسكندر الف وسبعمائة وثمانية واربعين فيكون تاريخ المكتوب المذكور مائةً واحدى وثمانين سنة شمسيّة سريانيّة التي عليها التاريخ الرومي. فيكون تاريخها الربي مائة سنة وثمانين سنة ونصف هلاليّة عربيّة تقريباً فهذا التاريخ كان في ايّام جمال الدين حجّي بن محمّد بن حجّي وذلك في اواخر دولة بني أيّوب في الشام واوائل دولة الترك بمصر وربّما كان تاريخ هذا المكتوب سنة اربع وخمسين وستمائة هجرية

٢) راجع الصفحة ٢٣٠ ٣) راجع ص ٢٢٨ والمقرّ من القاب الشرف في عهد المؤلف ويد بالشمسي شمس الدين ٤) راجع ص ٢٢٤

رواية الشقيقتين

للاب مغري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبلُ)

٦

لو دخلتَ ايها القارئ الليب بعد ثمانية أيام ،ضت على ما سردنا من الاخبار في بعض مخادع دار التنصل ب ،لرأيتَ كهلًا جالسًا تلوح على وجهه أمارات الحزن وملامح الكآبة. وما ذاك سوى البارون دي لَنس بيد انَّ ما يرى لخطيبته أثَّر في مزاجه فتحسبهُ وهو في ريعان شبابه كأنَّهُ اربى على الخمسين من عمره

اما الحجرة التي يسكنها البارون فهي غرفة خطيبته وردة. فنافذها المقفلة التي لا يدخلها الَّا نور طفيف جعلتها اشبه بغرفة تُعرض بها الموتى. فهذه الحجرة كانت بقيت على حالتها من النظام والترتيب كما كانت في عشيَّة يوم العرس فكان كلُّ شيء في موضعه حيث تركتهُ الفتاة بعد دخولها على المدعوين وكان فراشها ذاتهُ في حالته من التجعُّد لم تمسَّهُ يدٌ لتهندمهُ وكذا بقيت الوسادة والمصدغة وبقرب الفراش صوَانةٌ فيها خفَّان وقفافيز ومبذلةٌ وردية البارون

هذا وانَّ التنصل مع كلّ آل بيته من الخشم والخدم كانوا في مدَّة هذا الاسبوع بذلوا الجدّ والجهد ليقفوا للفتاة الضائعة على خبر في البلدة او ارباضها فلم يُجدهم ذلك نفعًا. وكان كلُّ من يسمع بهذه القصَّة الغريبة لا يشكُّ في انَّ الابنة التجأت الى الانتحار وكان الناس يسندون قولهم هذا الى ما كتبتهُ وردة في بطاقة وداعها انَّ من يطلبها لا يجد لها اثرًا ولا خبرًا

وكان في ثاني يوم فَقْد الفتاة قد رست صباحًا في الميناء سفينة روسية متهيئة لان تُقلع عند الظهر فطلب التنصل من ادارة المراكب الروسية لعلَّهُ تكون الابنة قد ركبت السفينة لكنهم بعد التفتيش اجاب العمَّال ان المطلوبة ليست من عداد الركَّاب

ولم يدعُ اهل الصبية ان يرسلوا الى مدن سوريَّة والاساكل عدَّة تلغرافات للاستعلام عن الامر فكانت الاجوبة كلُّها بلا فائدة. فكفَّ التنصل عن البحث لئلَّا يطَّلع على سرّ ما أقطع يجعل حياتهُ وحياة ذويه امرَّ من الحنظل. اما القوَّاسون والخدم فكانوا

يطلقون لالسنتهم كلَّ عنان فيخترعون قصصاً اغرب من احاديث خرافة

وكان البارون دي لينس طلب ان يُسلَّم الى يدهِ مفتاح غرفة خطيبتهِ ليكون هذا المسكن ذكرًا وسلوانًا لهُ في بلائهِ ولذلك كان ابقى كلَّ الاثاث على حالهِ ساعة غابت الفتاة عن نظرهِ فكان كلَّ يوم ينفرد منفرِدًا في هذه الغرفة لتقرّ عينهُ بما يراهُ من بقايا ذكرها لعلَّهُ يجد شرحًا لهذا السرّ المكنون. فكان قلبهُ يُلقي السؤال على كلّ هذه الذخائر ليطّلع بها على حقيقة الامر فما كانت تجيبهُ سؤالًا كما لم ينل الفتى وزوجتهُ جوابًا عن ابنتهما بعد الاصغاء في السؤال

ولسائل ان يسأل وسوسنّة ماذا كان من امرها وعندها كان نصف الخبر

نقول ان سوسنة بعد ما اصابها من الاضطراب لغيبة اختها بتيت مطرقةً ساكتة الّا انهُ كان يلوح على وجهها انّها جُهينة الخبر قادرةٌ على فكّ هذا اللغز بيد انّهُ لم يجسر احدٌ ان يلقي عليها سؤالًا في هذا الصدد حتّى ألحّت عليها يومًا امّها وناشدتها الله بان تعلمها عن حقيقة الامر ان كانت تعرف منهُ شيئًا. فتنهّدت الصعداء ثم قالت:

« الويل لي يا امّاه قد ماتت شقيقتي فداء عني. . فاني انا سبّبتُ لمانلتنا هذا الحداد الذي اصابنا جميعًا قالت هذا واخذت في العويل ثم القت بنفسها في حضن والدتها واردفت:

« قد استولى على قلبي حبّ البارون دي لينس فكان هذا الهيام في باطني كأ كلة كادت تنهك قواي وتذهب بحياتي الى يوم خطبة اختي وردة. فأحسّت هذه بكنين صدري. ولمّا غُشي عليَّ في ليلة العرس وتوارد الكلُّ فأحدقوا بي لمساعدتي خطر ببالها فكر مشؤوم حملها على ان تفعل ما فعلت. فخرجت دون ان يشعر بها احد ودخلت في غرفتي فوجدت بين اوراقي الخاصّة رقعة كنت كتبتُ فيها ما يلي:

« لو درت اختي ما استعر في صدري من اللهيب وانّها وحدها قادرة على ان تخمد فيَّ هذه النار لتنازلت لي عن حقوقها ولولا ذلك لفاتتني السعادة وصارت شقيقتي الحبيبة علة هلاكي وسبب موتي »

فقرأت اختي هذه الاسطر وألحتها بما تنظرين. قالت هذا وناولت سوسنة انها الورقة فاذا بها مكتوب في ذيلها:

« كلاَّ يا سوسنة لا تموتين لأجلي بل كوني سعيدة في مدى حياتك ولستُ انا بأهلةٍ ان اعكّر كأس سعادتك مع ما اعرفهُ فيك من السجايا الحميدة والمزايا الفريدة. ولا اشكُّ

انّ البارون خُلق لكِ كما خُلقتِ لهُ فدُوبي عني في الحظوى عندهُ . فهذه وصيتي او بالاحرى امري اليك . واعلمي انّ اختكِ عند الفراق لا تجد سلواناً الّا اذا تحقّقت كونكِ سعيدةً وأنكِ صرتِ بارونة دي لينس شقيقتك وردة

فما سمعت امّ سوسنة هذا الكلام حتّى اضطربت حواسّها وخامر قلبها القلق بيد انّها تجلّدت وسألت ابنتها : وما قولك في وردة أترين انّها بعدُ في قيد الحياة ؟

— لا ادري يا امّاه الّا انّ في هذا الامر الذي وجّهتْهُ اليّ مع قولها انّها ستسار بسعادتي ما يشعر بانّ اختي لم تمت . . . ولكن كيف يميل قلب خطيبها اليّ بعد ما طرأ على قلبهِ من الحزن بسببي ؟

٧

بعد هذا الحديث بين الابنة وامّها بقيت الامور على احوالها في الدار القنصالية مدّة شهر كامل . امّا البارون دي لينس فلم يزل يتردّد الى غرفة وردة يقضي فيها الساعات الطويلة . وكان جعلها كمتحفٍ جمع فيهِ كلّ ما اصابهُ من حوائج خطيبتهِ فنظّمهُ فيها تنظيماً حسناً . فكان تارة ينظر الى ما طرّزتهُ يدها من الثياب وحيناً يطالع كتاب صلاتها او يقرأ صفحات من رسائلها الخاصّة فلا يدع شيئاً ممّا يذكّرهُ بتلك التي شاطرها يوماً قلبهُ وكثيراً ما كان يأخذ هذه الذخائر فيضمّها الى قلبهِ لتقوم عندهُ بمقام شخصها الحبيب

وكانت سوسنة تحاول ان تضمّد جراح قلب البارون الّا ان مساعيها كانت تذهب سدًى . امّا الامّ فبقيت زمناً طويلاً رهمي لم تجسر ان تُعلم احدًا بما اوحت اليها ابنتها . وفي آخر الامر أفشت سرّها لزوجها القنصل آملةً انهُ بدرايتهِ وحذقهِ يدبّر كلّ شيء على احسن طريقة . فما علم القنصل بحقيقة الامر حتى رأى لهذه الحالة الحرجة مناصاً

فلما كان مساء بعض ايّام كانون الثاني انقشعت الغيوم بعد ان همت طويلاً الامطار المدرارة وعاد للسماء صفاء اديمها وركدت مياه البحر فتحلّت بزرقة ناصعة بينما كان جبل السنّين يظهر للعيان عن بُعد مشتملاً ببردة ثاوجهِ الغرّاء . واشجار اللوز زاهية بانوارها الفاغمة وازدهت ربُى بيروت بزهور الربيع فصارت كانها روض نضير . فانتهز القنصل هذه الفرصة ليعرض على صهرهِ السفر الى جهات بلاد اليونان . وكانت غايتهُ بذلك ان يشغل بال البارون بزيارة اصحابهِ ويبعد لابنتهِ سوسنة ما قتدتهُ من الراحة والسكينة . فاجاب البارون الى سؤلهِ وبعد إعداد لوازم السفر ركبوا البحر طالبين مرفأ البيره

وفي واقع الامر ما كاد البارون مع عائلة القنصل يطأ ارض اليونان حتى انتعشت قواه وسكن بلباله وهدأ خاطره. وما لبث اصدقاؤه ان يأتوه زرافات ليقرأوا عليه السلام ورافق وصوله اكتشاف عدد وافر من العاديات والدُّمَى والرسوم القديمة البديعة العمل فكنت تراه يتردّد الى المتاحف ليطّلع على هذه البقايا الجليلة ويكتب عنها مقالات يرسلها الى المجلّات العلميّة

ولمّا كان البارون لا يجهل شيئاً من احوال اثينة وتاريخها وآثارها القديمة اقام نفسه كدليل لحسيبه القنصل ولعائلته فزاروا اوّلاً هيكل الالاهة ميرفة الشهير بالپرتينون ثمّ سائر ابنية المدينة فردًا فردًا. وكان البارون يصف لهم رسم البلد فيشبّهه بقرص كبير من الحلوى قُسم الى اربعة اقسام فالحطّان المعترضان هما سكّتا إيرل وهرميس وفي الوسط مركز البلاط الملكيّ الذي بلغت نفقاته ثمانية الاف الف من الدوخمات وهو مع ذلك اشبه بثكنة جنود او بمستشفى المرضى ويحدق بالبلاط بستان ليس سواه في البلدة جميعها ليستظلّ به الاهلون

وكان عند دخول البارون وعائلة القنصل الى اثينة قد حُشدت فيها الجنود فتُعرض يوميًّا على مرأى الشعب. وكان الناس يزدحمون في المقاهي فتعلو فيها جلبتهم فيقرأون الجرائد ويصرخون طالبين اشهار الحرب وينسبون رئيس الوزارة تريكوپيس الى الجبن والفشل. فكان القنصل وهو من مشاهير الضبّاط لا يتمالك عن الضحك لما يراه في جنود اليونان من سوء النظام وقلّة النظافة في الملابس الرسميّة وما كان يزيده عجبًا كثرة الضبّاط بالنسبة الى عدد الجنود وكان اكثرهم من الشبّان خرجوا حديثًا في المكتب العسكري وهم مع ذلك يتباهون بهنداهم وقبعاتهم الواسعة المستطيلة واطواقهم العريضة الصفراء.

وكان القنصل يفكّر في ما عسى ان يفعل هؤلاء الضبّاط المرجّلو الشعر المطيّبون بانواع الطيب كالنساء وكيف تقوم لهم قائمة بازاء اعدائهم وهم يظنّون انّ ثرثرة الكلام والبذخ يكفيان للفوز بالانتصار

الّا ان البارون كان معجبًا بفرقة الافزن (evzones) فيشي على ملابسهم الوطنية وهي القنطان والشملة المزركشة والتمال الحمر المعقّفة الرأس في طرفها رَعَث ازرق تدعى بالقساروكاس (tsaroukas) وتبلغ قيمة لبس كلّ فرد ثلاثة آلاف فرنك. وهذه الفرقة اختصّها الملك لنفسه بصفة حرس شرف

(ستأتي البقية)

شتى

جبال المناطيس

اكتشاف حديث سبق ذكرهُ للقدماء

قد رونا في جملة منتخبات جمعناها منذ اعوام لتمرين الطلبة على الترجمة (١ : ١١) قطعةً عن كتاب عجائب الهند المكتوب في القرن العاشر ذُكر فيها ما يلي: «وبين خانقوا . . وخمدان (في الصين) نهر . . . وفي مواضع منهُ جبال المغناطيس ولا سير في ذلك النهر بمركب فيهِ حديد لئلاَّ تجذبهُ الجبال المذكورة لقوَّتها» وما كانت اذ ذاك روايتنا لهذا الامر الغريب الاَّ على سبيل فكاهة. واليوم قد اتتنا المجلاَّت العلميَّة مثبتة بصحَّة الخبر عن بعض جبال جزيرة تخصُّ الدانمرك تدعى بُرنهلم في بحر البلتيك. فمن خواصّ هذه الجبال جذبها للسراكب بحيث تعاكس عمل وبَان السفينة. واكثر ما يظهر تأثيرها في الابرة المُمَغنطة فتميل بها عن وجهتها ميلاً يُذكر ويُشعر بفعل هذه الجبال على بُعد مسافة خمسة عشر كيلومترًا حوالي الجزيرة. وفي الصخور المنتصبة امام الجزيرة قوَّة مغناطيسية كما في الجبال فتأمل ٥٠ل

الجُكَّير او الجُقَّير

وكتب لنا الاب انستاس الكرملي ما حرفهُ: «قرأتُ في الصفحة ٢٣٩ من المشرق عن العادة الجارية في بيروت وفي بعض المحلاَّت المجاورة ان يخرج الناس في اوَّل يوم من الصوم الكبير الى خارج البلدة. فقال المشرق جوابًا عن ذلك: «لا نظن ان هذه العادة قديمة» . قلتُ وهذه العادة جارية عندنا ايضًا وتُسمَّى باسم اثنين الجكَّير او الجقَّير (وتلفظ في الحرفين الجكْير اي بالكاف الفارسية) ومن ذلك نرى بانها غير محصورة في بيروت فقط بل في بلادٍ غيرها. لا بل وهي معروفة ايضًا عند الفرنج بما معناهُ تُرهة احد اللحم وثلاثاء اللحم (لحم هنا مصدر لحَم لحمًا اي أطعم اللحم) وبالفرنسية

Les promenades du Dimanche-Gras et du Mardi-Gras

وقد قال احد كتبتهم في هذا الصدد ما معناهُ: «في الزمن الذي كان كل امرئ يفتخر بالقيام بسُنَن الكنيسة كان يجتمع اهلُ البيتِ الواحدِ ليلةَ صوم طويلٍ ليأكلوا

سوية الوجبة الأخيرة مع الخلان والجيران . ولا شكّ ان هذا التصنّف كان يجري بادئ بدء بدون افراط . وما عمّ ان داخلهُ بعضُ الافراط لان ذلك التصنّف بذاته لم يكن موافقاً لروح التقشّف والنصرانية . اذ لمّا وُضعَت الديانةُ الصومَ لم تُؤذن الانهماك في الملاذّ الحسّية قبلُ او بعدُ . وهذا الخلل جرَّ وراءهُ خللاً آخر وهو ان الشراهة انسلّت ورويدًا رويدًا في هذه الولائم حتى كان من نتيجة التأنّق بالطعام وكثرته وشرب الخمور خرقُ حرمة الأدب وما مضى ردحٌ من الدهر حتى انتقل الناس من هذا الطور الى طور الرقص وانواع الخلاعة والتغزّل . ثمّ انتقلوا الى طور التجوّل في الطرق والتطوّف فيها ومعهم الثور الذين يُريدون ذبحهُ قبل الدخول بالصوم وهم بين ضاحك وساخر ولاعب ومازح حتى شاع ذلك بين القوم . وهذا هو على ظنّنا أصلُ ما يحدث في ايام المرفع " انتهى (١ باختصار . قلنا ولعلّ هذا التطواف والتجوال دعا الرؤساء الى ان يبعثوا داعياً او راهباً يدعوهم الى ملازمة حدود الادب وصيانة سننه والكفّ عن انواع التفريط والإفراط . ولعلّ هذا الرأي اوفق مما ذكرهُ المشرق

امّا لفظة جقّير عندنا فنظنّها مشتقة من فعل جقا رمق التركي ومعناهُ : أخرجَ او دفعَ الى الخارج كأنّ في مثل هذا اليوم سبباً يدفعهم الى الخارج للنزهة والتجوال . والله اعلم

كتب شرقية جديدة

كتاب منارة الاقداس

تأليف السيد مار اسطفان الدويهي البطريرك الانطاكي الماروني

الجزء الثاني عُني بطبعهِ المعلم رشيد افندي الخوري الشرتوني صفحاته ٦٩٥

قد تمّ الجزء الثاني من هذا الكتاب البديع او بالحري الكنز النفيس الذي الفهُ احد جهابذة الطائفة المارونية وخلّفهُ لابنائهِ بل ولكلّ نصارى المشرق كتركة علمية جمعت خُلاصة العلوم الدينية وزبدة الاسرار والطقوس البيعية . وقد كان سبق المؤلفَ كثيرٌ من علماء

---

١) انظر مادّة Carnaval في Bouillet – *Dicit. d'Hist. et de Géogr.*

الشرق كديونيسيوس يرصليبي وغريغوريوس ابن العبري الى وضع كتاب تُشرح فيهِ الآداب البيعية ورُتبها وصلواتها في التقديس الّا انَّ تصنيف السيّد الجليل مار اسطفان الدريهيّ جاء كنور ساطع غلب ضوؤهُ اسرجةً من تقدَّمهُ وهو انجز منها مادَّةً واتمّ فائدة واعذب موردًا واقوى دليلًا وسندًا لا يشوّه حسنهُ شيء من اضاليل السلف. فما كان احرى بهذا النور ان لا يبقى تحت المكيال لكن يوضع على المنارة لينير على كلّ من في بيت الله. هذا ونثني كلّ الثناء على جناب المعلّم الفاضل رشيد الخوري الشرتوني الذي قام بهذا العمل الخطير لم يثبطهُ عن انجازهِ كدّ ولا جدّ. وكان في ودّنا لولا ضيق المكان ان نذكر بالتفصيل ابواب هذا المجموع الشريف لتعرّف القرّاء ما اودعهُ صاحبهُ من المطالب النفيسة والابحاث الجليلة ولنا الأمل انهم يفتّشون النظر في نفس الكتاب على قراءة نبذةٍ قصيرة لا تفي وان طالت بشيء من حقوقهِ. وممّا يزيد هذه الطبعة حسنًا فهرسان يقرّبان منال فوائدها اوّلهما للابواب والفصول والثاني لجميع موادّ الجزئين وهو مرتّب على حروف المعجم

Geschichte der Arabischen Litteratur

تاريخ آداب اللغة العربية

von C. Brockelmann, I B. 1Hf., 240 S. *Weimar*, 1897

لله درّ المستشرقين ما اعظم كلفهم باخبار شرقنا العزيز واشدّ تنقيرهم عن لغاتنا وآدابنا وعلومنا القديمة. فحسبك بهذا الكتاب الجليل برهانًا قاطعًا على ذلك ألا وهو تأليف ينطق بلسان حالهِ عن سعة مطالعة صاحبهِ وسَعَة مداركهِ وغزارة علومهِ. والكتاب كلّهُ عبارة عن اربعة اقسام تشتمل تاريخ كلّ آداب اللغة العربية منذ اقصى ايّام الجاهلية الى زماننا. وما انتهى الينا من هذا الكتاب الخطير انما هو جزء من القسم الاوّل فيهِ تاريخ المصنّفات العربيّة في كل باب من العلوم منذ اقدم شعراء العرب الى اواسط القرن الثاني للهجرة. وقد قسم المؤلف كتابهُ الى فصول كثيرة كالعلوم الدينية واللغة والطب والتاريخ والجغرافية يذكر في كلّ فصل اسماء المشاهير الذين كتبوا في كلّ عصر مع بيان سنة وفاتهم وما نُشر من تآليفهم بالطبع في الشرق والغرب او ما عُرف منها في خزائن الكتب العمومية او الخصوصية فجاء حقيقًا هذا الكتاب كأجمد العلوم العربية لا يستغني عنهُ من اراد معرفة شيء من آداب اللغة وتاريخها. ونحن نعلم انّ كتابًا مثل هذا لا يخلو من بعض شوائب

كما أننا لاحظنا بعض اغلاط لا يسمح المقام بتعدادها ولنا الامل انها ستُصلَح في طبعة ثانية. هذا وانَّ المؤلف (في الصفحة ٣٠) لا يرضى بما كتبناهُ في امر شعراء النصرانية في زمن الجاهلية وقد ذكر انَّ النابغة الذبياني وزهير والاعشى كانوا نصارى. (نقول) انَّ لنا في ذلك مقالةً طويلة حال دون طبعها حتَّى الآن تراكم الاشغال وسننشرها يوماً

ولا نشكُّ في نصرانية النابغة فانَّ الصغاني والزبيدي في تاج العروس (في مادَّة حَلَبَ) يقولان صريحاً: وكان النابغة نصرانيًّا. امَّا الاعشى فليقرأ المؤلف ما كتبهُ فيهِ العلَّامة المستشرق ڤلهوزين (Wellhausen: *Skizzen und Vorarbeiten*, p. 201) فبعد الفحص الدقيق قال عن الاعشى انَّهُ نصرانيّ (al A'scha soll Christ gewesen sein). ثمَّ قال: (Der Geistesart nach sind Umajja b. Abi l'Calt und...Labid mindestens ebenso Christlich). ولهُ قول مثلهُ في زُهَير. هذا وعندنا براهين أُخَر سنبيِّنها ان شاء الله يوماً وفي هذه العجالة كفاية ل-ش

أسئلة وأجوبة

س سألنا من صور حضرة الاب اغناطيوس خرياطيّ اوَّلاً ما معنى قول الرب لحيَّة في الكتاب المقدَّس (تك ٣: ١٤) وتسلكين على صدرك. فالحيَّة يا ترى بما كانت تسلك على صدرها قبل ان لعنها الباريْ تعالى. ثانياً في اي قرن أُلِّف التلمود ومن ألَّفهُ وما هي الغاية المقصودة من تأليفهِ والموادّ الجوهريَّة التي يتضمَّنها وهل هو واحد او اكثر

سلوك الحيَّة على صدرها

ج يجيب على الاوَّل انَّ بعض الربَّانيين من اليهود كيوسيفوس المؤرِّخ وغيرهِ زعموا انَّ الحية قبل ان لعنها الله كانت تجري معدلةً منتصبة وزعم غيرهم انَّ الحية كان يمكنها الطيران. وهذه اقوال ضعيفة والاصحّ ان الله جعل سلوك الحية على بطنها اشارة الى لعنتهِ تعالى والى معاقبتهِ لها. وليس في هذا الامر غرابة فانَّ الناس ربَّما اتخذوا اشياء طبيعية كعلامة عن البغض او الصداقة الى آخرهِ وهكذا صنع الله مع نوح لمَّا وضع قوس قُزح كعلامة لعهدهِ مع البشر ولا شكَّ انَّ قوس قُزح كان سابقاً لعهد نوح. وكذلك يكون امرٌ طبيعي

من ذاته عقاباً كقول الله لحوّاء انّها تكون تحت سلطة رجلها. وقد كانت تحت هذه السلطة قبلاً الّا انّ الله جعل ذلك كعقاب بعد ما كان امرًا طبيعياً وكذلك حكم على الانسان بالموت كعقاب مع انّ الموت امرٌ طبيعيّ ولولا نعمة خصوصية من الله حلّ في البشر ولو لم يخطئوا

وهكذا جعل الله مسلك الحية على بطنها كعقاب بعد ان كان ذلك فيها امرًا طبيعياً الاب ا. فان دن هرتن

التلمود

اما جوابنا على السؤال الثاني فهذا خلاصتهُ : انّ التلمود عند اليهود بمنزلة كتاب فقههم ومجموع شرائعهم وآدابهم وما يُقتضى عليهم من الفروض والواجبات استنادًا الى الكتاب المقدّس وتعليم الربيّين وتقليد الامة. والتلمود قسمان المشنة (משנה) والجمارة (גמרא) فالمشنة اي الشريعة الثانية تحتوي على غير ترتيب مجموع فتاوي وتقليدات لقدماء الشيوخ جمعها الربّي يهوذا نحو سنة ١٩٠ للمسيح

وفصول المشنة ستة هذا تفصيلها : ١ً الزراعة وما يختص بالفلاحة والتقادم فكهنة وسنة اليوبيل الخ ٢ً الاعياد والسبت الفصح والرتب الخ ٣ً النساء — الخطبة والزيجة والطلاق ٤ً المضار وفي هذا الباب الشرائع المدنية والعقابية ٥ً القدسيات كالذبائح وآنية التقديس وصفة الكنائس ٦ً التطهير وفيه السنن للتطهير من الارجاس وتعريف الطاهر من غيره

اما الجمارة اي التتمّة فغايتها ايضاح المشنة وتفسيرها الّفها ربّي أشي الّا ان الموت لم يسنح لهُ باتمامها فزاد عليها من أتى بعدهُ وكان انجازها في القرن السابع للمسيح

والجمارة قسمان او تلموذان تلموذ اورشليم وتلموذ بابل الّف الاول الربّي يوحنان في اواخر القرن الثاني للمسيح لافادة يهود فلسطين وهو اقصر التلموذين واغلقهما. والتلموذ البابلي هو للربّي اشي كما سبق وضعهُ نحو مائة سنة بعد الربّي يوحنان وهو اوسع من الاول مادّة واوضح معنى الّا انّ فيه عدّة حكايات صبيانية لا يرضى بها العقل. هذا وان المحدثين من اليهود يفضلون التلموذ على التوراة فيشبهون التلموذ بالخمر والتوراة بالماء الزائق ويزعمون ان التلموذ موحًى بهِ من الله ه. ل

قائمة للآثار الجوّية من ٧ الى ٢٢ أيار ١٨٩٨

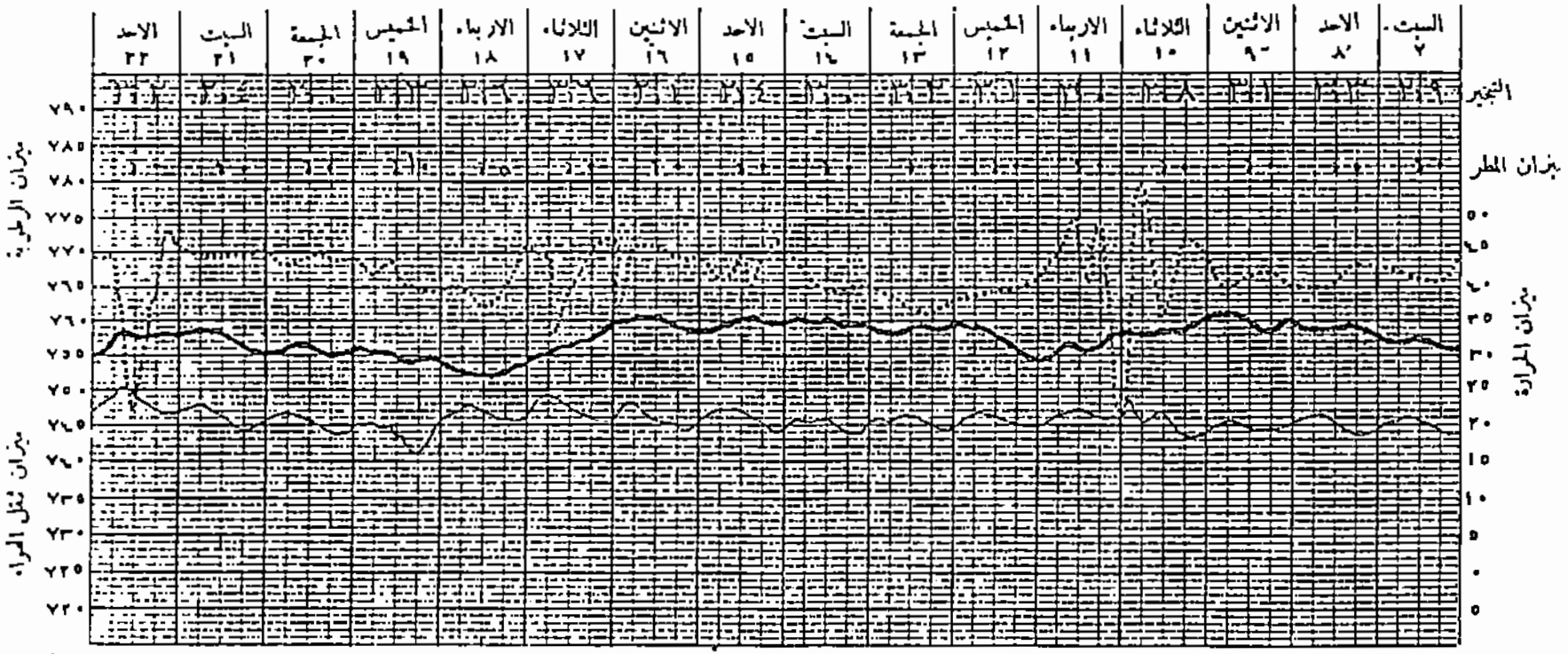

انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخط الرقيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) — امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هنرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمئسترات وعُشر المئسترات